أجاثكا

أرض الأحلام

رواية

أجاثكا

أرض الأحلام

محمد جاد علي

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
إصدارات ميثاق
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:

الكاتب: محمد جاد علي
عنوان الكتاب: أجاثكا - أرض الأحلام -
الإخراج الفني: أحمد الشافعي ملكي

الناشر: ميثاق للنشر والتوزيع.
إيميل: mesaak10@gmail.com
الهاتف: 01143487669
فيسبوك: mesaak0

جميع الحقوق محفوظة © لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقيا أو إلكترونيا أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.
تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

إهداء

قيلَ

«إن أردت النجاح يومًا يجب أن تُصبح أفضل نسخَة مِن نفسك»

لذا الأهداء الثاني إلى نفسي التي قالت لي في حينًا:

_ «لن تصل يومًا».

أما الأول والأخير إلى أمي الحبيبة ومُعلمتي التي مَن أثر أحرفها اقتبست طريقي

« الدكتورة حنان لاشين «

النبوءة...

الجدار الأسود...

طاغية...

سيف السماء...

المُختار...

«عندما تصبح أحلامك واقعًا لا مفر منه»

مُقدمة

ما حدث لم أكن لأصدقه يومًا إلا عندما شاهدت ذلك بنفسي، كيف يتبدل حال المرء بغتًة بسبب قراءة بعض الأحرف أو الكلمات حتى تُصبح أحلامه واقعًا، أكتب إليكم اليوم ما حدث في شكل رواية أقرب إلى رسالة تحذير....

« ليس كل الكلمات دونت للقرأة «

لذا احترس جيدًا يا صديقي مما تقرأ.

أنا خالد مِن محافظة سوهاج، كنت مثل أي شاب مفعم بالحياة وعشق الكتب والمطالعة ولذا لا أعمل إلا في شرائها وتوفيرها للقراء، كنت أجد في ذلك متعًة وسعادة لا توصف حتى جاء اليوم الذي أصبحت فيه أمقت جميع الكتب والكلمات وهذا عندما قرأت يومًا ما لم يجب قرأته...

الفصل الأول

الجدار الأسود

كنتُ أقوم بإعداد الطعام، فقد أخبرني والدي أنّ خالد سوف يزورنا اليوم، وأنا أُفكر في ذلك الحلم الغريب الذي أخبره عنه عندما هاتفه بالأمس، قال إنه استيقظَ مِن نومه والدماء تسيلُ مِن قدمه اليسرى وأنّ ذلك قد حدث في الحُلم! تعجّب والدي وحاول أنْ يفهم منه أكثر فقال مفسرًا ذلك: أنّ الأمر بدأ عندما هاتفه صديقه هشام وأخبره أنّ هناك شخصًا يمتلكُ مكتبة بها بعض الكتب القديمة التي يرغب ببيعها مُعلل بأنّ لا أحد يقرأ اليوم ومَن يفعل ذلك لا يرغبُ إلا بكتب المغامرات والخيال أما كتب التاريخ فلا أحد يهتم بالاطلاع عليها، وافق خالد على شراء هذه الكتب، وقال إنّه سوف يذهب في اليوم التالي لتفقدها وفرزها، عندما ذهب إلى المكان المحدد قابل كهلًا قوي البنية، كان وجهه دائريًا كثير التجاعيد، ذو أعين سوداء غائرة وحاجبين كثيفين متصلين، ولحية بيضاء تبلغ منتصف صدره وشارب ممزوج باللون الأسود والأبيض، استغرب خالد من ملامح الرجل الذي رحّب به بحفاوة شديدة وقاده إلى المكتبة بعد حديث قصير دار بينهما حول موضوعات الكتب، حتى لهجته بدت غريبة بعض الشيء، وبالرغم مِن تلك الريبة التي تتسللت إلى فؤاده لم يُعلّق وفضّل ألّا ينخرط في أشياء لا تعنيه، دلف الرجل داخل المكتبة وتبعه خالد وقد وقف مبهورًا من عدد الكتب فوق الرفوف التي

تتجاوز المئات ورُبما تصل للآلاف، قال الرجل بفخر وهو يطالع ملامح الدهشة على وجه خالد:

_ هذه المكتبة يتجاوز عمرها مئات السنين، لقد ورثتُها عن أبي الذي ورِثها بدوره عن والده، ظلّتْ تنتقل من جيل لآخر حتى وصلتْ إلَيّ، أُريدكَ أنْ تعلم أنّ تلك الكتب ليس مجرد أوراق بل هم أبنائي! لقد أمضيتُ طفولتي وأنا أمرح بين الرفوف، وعندما صرت شابًا كنتُ أُبحر بين صفحات الكتب وأتنقّل من عالم لآخر ومن شخصية لأخرى، عليك فقط أنْ تنظر جيدًا إلى تلك الكتب وحينما تقف أمام أحدهم وتحمله بين يديك متلفظًا عنوانه، اعلم حينها أنّك قد اخترقتَ بوابته ولن تستطيع الهرب منه قبل أن يُطلعكَ على جميع أسراره ويبوءَ لكَ بما يُكِنُّ في جوفه، وحينما تفرُغُ من قراءته ستصبحُ كلماته ماءًا يتدفق داخلكَ تحملها معكَ دائما.

تأثر خالد بكلام الرجل فلم يظن يومًا أن يجد شخص يقدس الكتب أكثر منه قال وهو ينظرُ للرجل متفحصًا ملامحه: إن كنت حقًا تُقدّر قيمة الكتب وتعلمُ أنّها ليستْ بجودة الأوراق أو برونق الغلاف، بل بما تحمل من أسرار وخبايا فلِمَ ترغب إذًا ببيعها؟!

سار الرجل للأمام بخطى قوية وثابتة لا تنُمُّ عن تقدم عمره حتى وصل إلى كرسي ثمّ جلس قائلًا:

_ ومَن قال لكَ أنّي سوف أبيع هذه الكتب أو أُفرّط بأحدٍ منها؟ وراوده شعورٌ بالتلاعب فقال بنبرة غاضبة:

_ لكن...

وقبل أنْ يُكمل قاطعه الرجل وهو يقول بهدوء شديد:

_ سوف أهبُك هذه المكتبة وجميع ما فيها بشرط ألّا تنقُلَ ولو كتابًا واحدًا خارج جدرانها وألّا تحاول بيع أحدهم، وهناك شرطٌ آخر....

قال مقاطعًا وبدهشه:

_ ماذا؟ ولمَ لا تمنحها لأحد من أبنائك؟! أليستْ إرثُك المُتوارث لأجيال؟

ابتسم الرجل وقال بعد أن اقترب من خالد ووضع يده فوق كتفه:

_ أنت ابني وهذه المكتبة إرثُك مُنْذُ اليوم!

كان لتلك الكلمة أثرًا غريبًا بداخله فقال مُستفهمًا:

_ ماذا تقصد؟

لم يتفوّه الكهل بكلمة واحدة، وإنما مدّ يده داخل جلبابه وأخرج سلسلة زرقاء بها بعض النقوش، ينسدل منها مفتاحين أحدهما دائري الشكل، دس السلسلة بين يديّ خالد، ثم استدار للخلف موليًا ظهره وقبل أن يغادر المكتبة قال دون أن يلتفت وهو يرفع يده ويشير بإبهامه محذرًا:

_ احذر أن يَطلع أي شخص على ما خلف الجدار الأسود!

***

_ لم أُبارح موضعي بعد أن ذهب الرجل كنت أشعر بالريبة والتعجب من أمره، أسرعتُ للخارج بعد ذهابه مباشرة للبحث عنه لكن لم أجده، كان هناك محل بقالة مجاور للمكتبة سألت الرجل الذي يعمل فيه إن كان قد رآه ليجيب بالنفي فيزداد القلق

بداخلي، مَن هذا الرجل؟ هناك شيء مريب به! قررت أن أعود وأبحث في الداخل رُبَّما أعثر على أي شيء، لم أعلم مِن أين أبدأ وقفت أحدق مثل الأحمق في تلك الرفوف المكتظة بمختلف الكتب، جميعها قيّمة جدًا وتدور حول مواضيع شتى، قضيت ساعات وأنا أطالع أسمائها حتى حل الليل، لم أكن لأجمع نصف ثمنها وإن تنازلت عن كل ما أملك، فكيف لشخص أن يفرّط بهذه الكتب طوعًا دون حتى أن يأخذ شيئًا؟! الأمر مقلق للغاية، شعرت بالإرهاق مِن كثرة مطالعة الكتب فقد اقترب منتصف الليل ولم أنتهِ إلا مِن جزء يسير، هممت بالانصراف لكن لفت نظري ذلك الجدار الأسود الذي يقبع في الجزء الأخير من المكتبة، اقتربت منه وتلك الكلمات التي تفوّه بها ذلك الكهل قبل أن يغادر ترن في أذني:

_ احذر أن يطلع أي شخص على ما خلف الجدار الأسود!

تأملت الجدار وقد تملكني فضول شديد لمعرفة ما يقبع خلفه، وجدت في منتصفه دائرة، عندها تذكرت السلسلة التي دسها في يدي قبل أن يُغادر كانت تحتوي على مفتاح دائري، أخرجتها من جيب البنطال مُتفحصًا تلك النقوش الغريبة التي صكت عليها ببراعة عجيبة، قمت بوضع المفتاح داخل الدائرة، وانتظرت قليلًا قبل أن تدور الدائرة حلقة كاملة لليسار وبعدها انشق الجدار إلى نصفين مِن الأعلى حتى الأسفل ثم تباعد كل نصف عن الآخر كاشفين عما خلفهما، حدث ذلك وأنا أراقب بخليط مِن الانبهار والريبة، مضيت للأمام بضع خطوات كان هناك غرفة خلف الجدار بها بضعة رفوف تحوي عشرات الكتب، وفي الأمام وُضعت منضدة يقبع أمامها كرسي وفي أعلاها تناثرت مجموعة مِن الأوراق، قبضت عليها وجفلت مكاني حينما رأيت

اسمي مدون بالأسفل، لقد نقل الكهل ملكية المكتبة إليّ!! متى أعد تلك الأوراق؟ طالعتُ تاريخ إجراء النقل وصُدمت لقد حدث ذلك منذُ خمسة عشر يومًا، هذا يعني أنه خطط للأمر منذُ مدة!!! مَن يكون هذا الشخص؟ قرأت الأوراق على عجل في محاولة إيجاد أي شيء يدلني عليه، ابتهجت حينما رأيت اسمه مكتوبًا على أحدها « يعقوب المدني» لا أعرف أي شخص بهذا الاسم، بحثت ثانيًا عن عنوان أو رقم هاتف فلم أجد أي شيء لم يكن هناك غير اسمه فقط، ثقل رأسي مِن كثرة الأسئلة التي تُصر على طرق جدارنه، فجلست على الكرسي وأعدت تفحصها مجددًا محاولًا إيجاد إجابة شافية لتلك الأسئلة راجعت الحديث الذي دار بيننا وفجأة اتسعت عينايّ وهببتُ واقفًا وكأنني وجدت ضالتي، هامسًا لنفسي:

السر يقبع داخل هذه الكتب!

شعرت بالسعادة العارمة وأنا أقبض على كتاب ما الآن سأعلم مَن هو وماذا يخبئ، لم أهتم بقراءة العنوان حيث إنه كان مكتوبًا بلغة لا أعرفها لكن السعادة تبددت وحل القلق والغضب عندما وجدت أوراق الكتاب فارغة بالكامل، أعدت الكتاب في موضعه وانتشلت كتابًا ثانيًا كانت أوراقه فارغة أيضًا، تفقدت الثالث والرابع والخامس جميع الكتب أوراقها فارغة! تملكني الغضب الشديد وأنا أقبض على كتاب آخر متفقدًا أوراقه كانت فارغة هي الأخرى هل هذه مزحة؟ سأُهاتف هشام رُبَّما أعلم منه شيء:

_السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

_ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أخبرني كيف وجدت الكتب

ترددتُ في إخباره حول تلك الكتب الفارغة وفضّلت ألّا أخبر أحدًا إلى أن أتبين حقيقة الأمر.

_ جيدة.

_ كنت أعلم أنها سوف تنال إعجابك.

_ أرغب في سؤالك عن هذا الرجل هل تعلم عنه شيئًا؟

_ لن تُصدق ما حدث لقد جاء إليّ وطلبك بالاسم، كان يعلم أنني صديقك وأنك تثق بي لذا جاء وأخبرني أنه يرغب في بيعها لك، لم أثق به لذلك قررت أن أرى تلك المكتبة قبل إخبارك، ذهبت برفقته وحينما رأيتها فغرت فاهِ من كثرة الكتب! عرضت عليه فورًا شراءها بأي ثمن، لكنه رفض بشدة وقال لن يأخذها أي أحد سواك!. جفلتُ مكاني وأنا أسمع حديث هشام إذًا كان يقصدني أنا منذُ البداية!! هممت أن ألقي الكتاب بعيدًا بعد أن أنهيت المكالمة لكنني توقفت عندما لمحت بعض الكلمات التي كُتبت على الصفحة الأخيرة، قمت بفتح الصفحة بسرعة، كانت الكلمات مكتوبة باللغة العربية لكنها لم تكُن تعني شيئًا لم تكن إلا حروف متصلة لا تؤدي إلى أي معنى يُذكر، ألقيتُ الكتاب فوق الطاولة وخرجت ذاهبًا إلى البيت وأنا أفكر في كل ما حدث منذُ البداية، منذُ ظهور هذا الرجل، وتلك الغرفة خلف الجدار، وهذهِ الكتب الخاوية والحروف التي قد نُقشت في ذلك الكتاب، لم أكن أدري ماذا يحدث لكني كنت قلقًا ومتخوفًا من الأمور التي ستحدث عقب ذلك، لقد خُصّصت بالذكر! لماذا؟.

***

_أسير في صحراء قاحلة دون وجهة محددة، أين أنا؟ حقًا لا أعلم، انتصفت الشمس في السماء وقد استقبلت الرمال أشعتها بإذعان منفئة عن غضبها بلهيبٍ حارق، استغرقت ما يُقارب خمس ساعات سيرًا وأثناء ذلك لم أقابل أي بشر أو أرى أي معالم للعيش كيف جئت إلى هنا؟ أتذكر أني ذهبت للمنزل وخلدت للنوم بعد أن غادرت المكتبة عازمًا في اليوم التالي على البحث عن ذلك الرجل، شعرت بارتجاف قدمايّ لم أعد أمتلك القدرة لأواصل السير وازداد الأمر صعوبة حينما بلغ الظمأ بي أشده، صرت أجر قدمايّ بما أمتلك من قوة حاثًا إياهما على المواصلة بمنحهما وعدًا مزيفًا بالأمل، «سوف يمضي الأمر» لا أستطيع التوقف في هذهِ الصحراء وإلا ألقيت نفسي في هلاك حتمي، هل هذا حلم؟ أتمنى ذلك، يجب ألا أتوقف حتى أعثر على مكان آمن، ظللت أخبر نفسي وأنا أسير قائلًا:

_ أستطيع فعلها، لقد تجاوزت ما هو أشد من قبل، اجمع رباطة جأشك يا خالد لن ينتهي الأمر بك إلى الفَناء في تلك الصحراء، هل تريد أن تكون وليمة للسباع، إنك أقوى من أن تسقط مهزومًا بهذه الطريقة، لا تُنصت إلى ضعفك ووساوس نفسك، لن يخذيك الله ما دام الأمل في فؤادك ينبض، إنه عند حسن ظنك دائمًا فليكن ظنك به خيرًا...

هكذا تابعت السير ولولا ذلك الأمل الذي وُلد في أشد اللحظات يأسًا وحسن الظن بالله؛ لسقطت مهزومًا عند أول اختبار، إنه اليقين ما يبقينا أقوياء! ابتهجت وشكرت الله عز وجل عندما أبصرت بعد مدة من السير أبراج شاهقة الارتفاع على بعد لقلعة يحيط بها سور ضخم ممتد لم أستطع أن أرى نهايته، كيف

لم أستطع رؤيتها سابقًا؟ فإن أبراجها توشك أن تُعانق السماء، أظن أنها تعود لأحد الملوك المخضرمين، لم أفكر حول طبيعة أهل هذه البلدة، أو كيف ظهرت هذه القلعة فجأة في وسط هذه الصحراء القاحلة، شيء ما يقودني إلى وجهة محددة، أرجو أن تكون العاقبة خيرًا، ركضت سريعًا متجاهلًا أنين قدمَيَّ اللتين كانتا تبُثّا شكوى محواها أنهما لن تصمدان أكثر من ذلك، كانت معالم القلعة تتضح مع مرور الوقت لذا فضلت الاستمرار في الركض رغبة في الوصول بأسرع وقت ممكن، اصطدمت قدمي بأحد الأحجار لأسقط بعدها على الأرض، قبضت قدمي التي سقطت مع أول عقبة تجري منها الدماء وأنا أزوم وأتلوى مثل الأفعى مِن شدة الألم، أوشك الليل على الحلول، يجب أن أنهض، حاولت القيام لكن لم تسعفني قدميّ العاريتين فجثوت على ركبتي في موضعي أترقب أن يخلصني أحد السباع من هذه المعاناة! حل الليل وتلاشت القلعة خلف رداءه؛ ليتبدد الأمل الأخير الذي ظننت أن فيه نجاتي فإذا هو خاتمة أمري! تمكن الإعياء مني وصارت عينايّ على وشك الإغلاق مخلِّفتان مصير روحي لأمر مجهول! حاولت جاهدًا أن أظل يقظًا فإذا بنفسي المرهقة تحاورني قائلة:

_ هذه نهاية الأمر يا خالد استسلم لا سبيل للنجاة اليوم دعنا نُنهي الأمر لأتحرر أنا من هذا الجسد المتهالك ويُفَكُّ قيد روحك من جميع المعاناة، أغلق عيناك فقط...

فأجاب فؤادي بثقة: لم يحن الوقت بعد إن الذي أنجاني سابقًا سوف يتكفل برعايتي الآن!

لأتعجب من تلك الثقة التي تحدث بها وأنظر حولي في ذلك الظلام الدامس لأرى مصباح من الزيت يشق الظلام ويدنو مني،

رفعت رأسي عاليًا بضعف ثم ابتسمت حينما رأيته يقبض على المصباح وهو يقف فوق رأسي وقد اتكأ على عصا برأس ذئب، وقبل أن أُغمض عيناي فاقدًا الوعي قلت بأنفاس واهنة:

_ العم « يعقوب المدني »

ابتسم الرجل ومن ثم فقدت الوعي لتصبح ابتسامته آخر ما

أراه.

***

_ ربَّما حدث ذلك بسبب الكلمات التي قرأها في الكتاب، أورُبَّما اصطدمت قدمه بشيء وهو نائم، وعندما استيقظ ظن أنها نفس الإصابة التي حدثت في الحلم، الأمر يبدو جنوني على كل سيأتي بعد قليل ويتضح كل شيء.

_ ألم تنتهي من إعداد الطعام حتى الآن؟

كان هذا صوت والدتي وقد رمقتني بنفس تلك النظرة مجددًا

قلت وأنا أزفر:

_ ليس بعد.

اقتربت حتى أصبحت بجواري ثم قالت وهي تهمس في أذني:

_ أسأل الله أن يجمع بينكما!

صمت ولم أتحدث بشيء فقد ضقت ذرعًا كلما رأيتها تنظر إلي وتبتسم عندما يأتي خالد إلينا، وتلك الدعوة التي لا تكف عن ترديدها على مسمعي أشعر كأنها طوق يلتف حول رأسي حتى

يوشك أن يذهب بروحي، لا أُكنّ أي شيء لخالد، لم أراه يومًا إلا ابن عمتي رحمها الله، لم توقد بعد تلك الشرارة، لا زال فؤادي سكن طيب ولا أرى أحدًا يستحق أن يسكُن فيه، أستأنس بخفة خفقانه بين أرجاء صدري وهو ينبض لأجلي فقط، ولا أرغب يومًا أن يُناصفني أحدٌ في ذلك، فأنا لا أطيق أن ينبض فؤادي ولو نبضة واحدة من أجل أحدهم، تناهى إلى مسمعي صوت طرقات على الباب لوهلة انتابني شعور بأن هناك مَن يطرق على فؤادي، اختفى صوت الطرق فتنفست الصعداء لكنه عاد بعد قليل وبقوة حتى ظننت أنه سوف يقتلع فؤادي من داخل صدري، خرج والدي من غرفته على طرقات الباب لرؤية مَن به، تواريت خلف ستار المطبخ لرؤية ذلك الذي حل فأيقظ فؤادي من سباته، كدت أصرخ عاليًا وأنا أهمس لنفسي:

_ أرجوك يا أبي لا تجب الطارق إنها ليست طرقات الباب وإنما فؤادي!

هرولت سريعًا خلفه حتى أُوقفه لكن لم أستطع لأفاجأ به يقف أمامي مباشرة!

***

_ طرقت الباب بشدة فلم أعد أحتمل الوقوف على قدمي أكثر وما هي إلا ثواني قبل أن يفتح خالي الباب وأراها تقف خلفه مباشرة بقامتها القصيرة ووجهها الطفولي المستدير مرتدية إسدال صلاة يكتظ ببقع الطعام، كانت تنظر إليّ بعينين جاحظتين وهي تحاول أن تخبئ قدميها العاريتين داخل الإسدال، شعرت برغبة

جامحة في الضحك لكني تمالكت نفسي لأكتفي بالابتسام وأنا أراها تهرول للداخل، لم تتغير ملامح «خالي أحمد « كثيرًا منذُ آخر لقاء بيننا عقب وفاة والدتي، بعد أن أمضتْ عامًا كاملًا يعصر الحزن فؤادها على والدي الذي رحل إثر حادث بشع، ترك خبر وفاته أثرًا بالغًا في أفئدتنا ومع مرور الأيام تأقلمنا مع الوضع، إلا أن والدتي لم تمتلك القدرة الكافية لتجاوز الأمر، خلف رحيله في فؤادها أثرًا وقف الدهر أمامه عاجزًا عن انتشاله، لتلحق به بعد عام واحد من وفاته، لم أستطع أن أتحمل حينها، كنت أتظاهر بالقوة لأجل ألا أرى حزن يثقل جفن عينيها، وما إن غاب دفء أنفاسها حتى تجردت من معالم القوة وبدت سوأتي فلم أعد أحتمل التظاهر بعد الآن، ولولا أن ثبّت الله فؤادي و خالي أحمد الذي ظل بجواري لَما تخطيت ذلك، خلال تلك المدة اقتربت منه كثيرًا وتوطّدت علاقتي به لأدرك كم أنه ذو فكر فذ ورأي راجح كيف لا يكون وهو دكتور الفلسفة والمنطق بأحد جامعات الأزهر، نظر خالي إلى قدمي اليسرى ثم قال بنبرة عطف يكسوها القلق:

_ حمدًا لله على سلامتك يا بني، تفضل للداخل.

دلفت خلفه كان منزله مكونًا من طابقين، الطابق الأعلى يحوي غرفتين واحدة له ولزوجته والثانية لابنته « إيمان»، أما الطابق السفلي فقد حوى غرفة ثالثة مهجورة، جلس خالي ثم جلست أمامه قائلًا:

_ لا أعلم حقًا التفسير الصحيح لما حدث وكيف أُصبت بتلك الإصابة، ما أعلمه أني كنت أحلم بحلم غريب حيث وجدت نفسي في صحراء وأُصبت نتيجة لتعثري بأحد الأحجار، ومن ثم فقدت الوعي في الحلم لأستيقظ وأجد الدماء تسيل من قدمي

تعجبت حينها كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ لم أعلم ماذا أفعل لذلك أول ما قمت بفعله عقب أن ضمدت قدمي هو الاتصال بك، وقبل أن آتي إليك زرت طبيبًا وقد فحص قدمي وقام بتنظيفها وعندما وجد بعض الرمال العالقة بها بدا مستغربًا لكنه لم يعلق على شيء واكتفى بقول:

_ الحمد لله قريب جدًا سوف تتعافى لكن لا تحاول الركض لمسافات طويلة ثانية فقد يسوء الأمر.

كنت أنتظر أن يُعقّب خالي بشيء بعد أن أنهيت الحديث لكنه قال بعد أن ظل صامتًا لبعض الدقائق:

_ لنتناول الغداء ومن ثم سأخبرك بما سوف تقوم به لأعلم إن كان ما أفكر به حقيقة أم مجرد ظن!!!

***

___ هرولت سريعًا إلى غرفتي فور أن رآني خالد بملابسي المرقعة ببقع الطعام، كيف سوف يظن بي الآن؟ هل سيظن أني لا أزال صغيرة؟ وقفت أطالع نفسي في المرآة، هذه بعض من آثار السلطة التي تناثرت أثناء تقطيعها، وهذه بقعة من عصير البرتقال الذي يفضله خالد، أما هذا فلم يكن سوى إناء الماء الذي انسكب نصفه فوق هندامي وأنا أحاول بقامتي القصيرة حمله من فوق الطاولة، الحجاب غير منتظم، وبعضًا من خصلات شعري ظاهرة، قلت هامسة لنفسي:

_ لا تبتئسي يا فتاة أنتِ جميلة في كل أوقاتك وفي أسوء حالاتك، ثم من هذا خالد لتلُقي لظنه فكرًا.

قمت بإبدال الإسدال بآخر وخرجت لأعد المائدة، قدمت الأطباق التي اختلفت أصنافها وكل صنف يُنافس الآخر في مذاقه الشهي، وضعت يدي على وسطي وأنا أنظر إلى المائدة بفخر وقلت:

_ يا لكِ من ربة بيت ماهرة يا إيمان، يا لسعادة من سيظفر بكِ يا فتاة!

في هذه اللحظة اقتربت والدتي وهي تقول:

_ ما شاء الله، ما كل هذا يا إيمان.

ثم أخذَتْ تدور حول المائدة بابتسامة وهي تطالع الأطباق مردفة:

_ ما شاء الله على ابنتي، غاب عن عقلها جميع الأطباق المُميزة لوالديها أما خالد فقد أعدت جميع ما تشتهيه نفسه!

صُدمت من كلام والدتي ونظرت للأطباق، لم يكن هناك طبق واحد لا يفضله ، ضربت جبهتي بكف يدي وأنا أقول:

_ أعتذر لم أنتبه حقًا لذلك.

ثم أردفت وأنا أتقدم ناحية المطبخ:

_ سوف أعد غيرها بسرعة.

ازدادت ابتسامتها قائلة:

_ لا داعي لذلك تكفينا تلك الأطباق، اذهبي لإعلام والدك بأننا انتهينا.

***

_كدت أن أتحدث معه بشأن الكلمات التي قرأتُها في الكتاب لولا أن جاءت إيمان تدعونا للطعام، كانت تسير بخطوات قصيرة

ورأس مطأطأ للأسفل، قالت وهي تقف على بعد:

_ الغداء جاهز يا أبي.

_حسنًا يا بني لنتناول الطعام ومن ثم سأخبرك بما سوف تقوم به لأعلم إن كان ما أفكر به حقيقة أم مجرد ظن.

جلست على المائدة بجوار «الخال أحمد»وفي الطرف الآخر جلست زوجته « آسيا» وابنتها « إيمان » التي مَنّ الله عليهما بها بعد طول انتظار وعناء لذا فقد كانت قرة عين أمها ونبض فؤاد أبيها، قال الخال أحمد مادحًا الطعام:

: ما شاء الله، ما كل هذا الأكل الطيب، سلمت يداك يا أم إيمان

قالت زوجة خالي وهي تنظر لابنتها وتوكظها في ذراعها :

_ بل سلمت يدا ابنتك.

وأردفت وهي تلتفت إلَي:

_ فمنذ أن علمت بأن خالد سوف يزورنا وقد اعتكفت المطبخ منذ الصباح.

نظرت للأطباق المنثورة فوق المائدة جميعها مفضلة لي، هل قامت بذلك لأجلي؟!

شعرت إيمان بالخجل وقد بدا ذلك من وجنتيها اللتين أصبحتا أشد حمرة من طبق الطماطم المُقدّم! فقالت وهي تنظر إلى والدتها بلوم:

_ ليس بالشيء الكثير يا أماه فإن من أخلاقنا إكرام ا لضيف .

قلت محدثًا نفسي :

_لا تسرح بخيالك بعيدًا يا خالد، إنها تراك مجرد ضيف،

وأيًا كان الشخص الجالس في موضعك ستفعل ذات الواجب معه.

الخال أحمد لابنته:

_سلمت يا ابنتي، رزقك الله ثمار جهدك، لا تدعوا الطعام ينتظر أكثر كي لا يذهب جهد صانعه سدى « بسم الله الرحمن الرحيم ».

ما هي إلا بضع دقائق حتى أجهزت على جميع الأطباق الموضوعة أمامي ليس ذنبي، فقد كان الطعام جميلًا جدًا ومُعدًا بدقة وكأنه خُصص لأجل شخص ما، عقب أن فرغ الجميع من تناول الطعام جلسنا وسط المنزل وقدمت إيمان عصير البرتقال، قلت ممازحًا:

_ والبرتقال أيضًا ما كل هذا الدلال.

زوجة خالي:

_وهل لدينا عزيز غيرك يا بني.

نظرت إلى الخال أحمد كان شاردًا، ارتشفت رشفة من الكأس ثم سألته:

_ ماذا أفعل الآن يا خال.

قال بعد أن صمت مفكرًا:

_ هناك طريقة واحدة يمكن أن يتضح بها ما حدث، فإما أنه مجرد حلم عابر وإصابتك مجرد صدفة وإن كانت آثار الرمال التي وجدها الطبيب أثناء فحصه لقدمك تؤكد الإحتمال الآخر.

_ أي إحتمال؟!

_ أن الكلمات التي قرأتها في الكتاب تقودك إلى شيء ما.

سألت إيمان بقلق :

_أتقصد أنه ينتقل أثناء نومه إلى مكان آخر؟!

هز رأسه إيجابًا ثم أردف قائلًا:

_ الحلم القادم إما أن يؤكد هذه الاحتمالات أو ينفيها!قلت بعد أن تذكرت الكهل الذي قابلته في المكتبة:

_ ربما هناك طريقة أخرى..

سألت بلهفة:

_أي طريقة؟

أجبت موضحًا ما يدور في ذهني:

_ كل شيء بدأ منذُ أن قابلت ذلك الكهل إن عثرنا عليه عندها فقط سوف نجد جميع الإجابات.

قال الخال أحمد :

_ أتظن أني غفلت عن ذلك؟

تملكني الفضول ونظرت إليه ليسترسل حديثه، فأردف بعد أن زفر بضيق:

_ لقد اختفى الرجل ولم يشاهده أي أحد كما أن اسمه الذي قرأته في الأوراق لا أصل إليه!

هببت واقفًا وأنا أصرخ بغضب:

_ كيف حدث ذلك؟

وقف ثم اقترب مني ووضع يده فوق كتفي قائلًا وهو ينظر في عينيَّ بشدة:

_ البحث عن هذا الرجل وإيجاده درب من الخيال، لا تحاول عبثًا، لقد أتى من أجل شيء محدد ورحل كما جاء، لا أعلم ما سيحدث عقب أن تخلد للنوم لكني أثق بك وأثق بأن الله سيحفظك! إن كانت تلك الكلمات تقودك حقًا لعالم أولمكان آخر فقد خُصّصت لذلك لشيء ما بداخلك، اجمع رباطة جأشك يا

بني وكن كما عهدتك دائمًا مؤمنًا بنفسك وبما أنت عليه، تذكر الله في كل خطواتك حتى يذكرك ومَن يذكره الله لا يغيب لحظة عن معيته، لا تقلق لن أتركك لوحدك، لقد أعددت لك غرفة الضيوف سوف تذهب للنوم الآن لنعلم ما سيحدث، سأحاول إيقاظك إن شعرت أنك أطلت في سباتك أوساء وضعك.

ثم نظر إلى ساعة يده وأردف:

_ الساعة الآن الواحدة، أمامك حتى الغروب فقط إن بقيت في نومك أكثر من ذلك سوف تأتينا الإجابة.

قلت وقد انتابني شعور بالخوف الشديد، فقد كنت أفرُّ من الواقع المرير إلى الأحلام والآن غدت الأحلام أسوأ مخاوفي:

_ لنُنهي هذا الأمر يا خال.

ذهبت خلفه إلى غرفة الضيوف واستلقيت فوق الفراش بعد مغادرة إيمان ووالدتها الغرفة وقبل أن أغلق عينايّ لأواجه أحلامي قال خالي:

_ تذكر عند الغروب

ابتسمت ومن ثم أغمضت عينايّ لأخلد في النوم مباشرة.

***

قلت وأنا أحاول ألا أُبدي خوفي:

_ألم يفق بعد؟ لقد استغرق الكثير من الوقت وهو نائم، يفترض به أن يفيق منذ بضعة ساعات.

قال والدي بأسف:

_ذلك يحدث في حالته الطبيعية فقط!

قلت مستفهمة:

_ ماذا تقصد؟

وفي هذه اللحظة أقبلت والدتي وقد أشعلت بقولها حريقًا اندلع بداخلي:

_والدك يقصد أنه الآن لا ينتمي لعالمنا، لقد انتقل إلى مكان آخر.

قلت صائحة غير مصدقة وأنا أنظر إليهما:

_لا يمكن لهذا أن يحدث؟ تعلمان جيدًا أن هذا شيء مستحيل سوف يستيقظ بعد قليل إنه نائم الآن فقط.

اقتربت والدتي مني وألقت بي بين ذراعيها وأخذت تمسّد رأسي برفق قائلة:

_سوف يكون بخير يابنتي، سوف يكون بخير، لا تقلقي.

جحظَتْ عيناي فجأة وانتفض جسدي وأنا بين ذراعيها عندما سمعت صوت صراخ خالد لأتراجع للخلف وأجري سريعًا خلف والدي الذي هرول للداخل لنشاهد ما بث الرعب والفزع في داخلنا!!

الفصل الثاني

أجاثكا

في صحراء « أجاثكا » حلّق غراب ضخم الحجم ذو وجه أسد فوق خيمة رمادية يقبع أمامها مجموعة من الجمال المُحمّلة بالبضائع، حط على الأرض ووقف يُحدّق بحزم وبصرامة على كهل دائري الوجه ذي لحية بيضاء كثيفة وشارب أبيض يرتدي سترة زرقاء ويضع فوق كتفيه فراء ذئب رمادي، قال الكهل وهو ينظر إلى الغراب بنفس الحزم:

_كنت أعلم أنك ستأتي.

حلّق الغراب عاليًا وزأر بقوة قائلًا قبل أن يرحل:

_ لن تصل إلى مبتغاك أبدًا يا « غانداف».

***

_ كنت مُمددًا فوق فراش خشبي داخل خيمة، حاولت القيام لأعلم أين أنا وهل لا أزال في نفس الصحراء أم في مكان آخر؟ استطعت الوقوف على قدميّ وسرت إلى الخارج بخطًى واهنة، قلت بصدمة وبضيق :

_ ليس ثانية، هذا يعني أن احتمال خالي أحمد كان صحيحًا، لكن لمن تعود هذه البضائع؟

التفت سريعًا حينما سمعت صوت رجل يأتي من الخلف:

_ تبدو في حال أفضل.

كان كهل نحيف الوجه والجسد ذو شعر اشتعل الشيب به وذقنًا بيضاء لا سواد بها، يضع فراء ذئب فوق كتفيه ويتكئ على عصا برأس ذئب، تذكرت تلك العصا قد رأيتها مع يعقوب المدني قبل أن أفقد الوعي في الصحراء قلت وأنا أتفحص ملامحه:

_ من أنت؟ وأين يعقوب المدني ؟

اقترب الرجل مني قليلًا وقال وهو يمد يده:

_ اسمي» غانداف الخمري «.

قلت وأنا أصافحه:

_ وأنا خالد ، أين يعقوب المدني؟

نظر الرجل إلَي باستغراب ثم قال:

_ لا أعلم أحدًا بهذا الاسم!

قلت وأنا أُشير إلى العصا:

_ لقد رأيته قبل أن أفقد الوعي وكان يتكئ على نفس هذه العصا!

ابتسم ثم قال:

_أنا من رأيته حينها يا بني، ربما كنت تتوهم ذلك من فرط الإعياء.

اندهشت من كلام الرجل فقد كنت متيقنًا أن من رأيته هو يعقوب المدني، هل كنت أتهيأ ذلك حقًا؟ قلت محاولًا فك بعض شفرات هذا اللغز الذي أُقحمت فيه عنوة:

_ حسنًا أين نحن؟ وماذا تفعل في هذه الصحراء القاحلة؟

قال وهو يشير بيده:

_ نحن على بعد يسير من قلعة أجاثكا .

نظرت إلى الاتجاه الذي أشار إليه فلم أرى شيئًا فقلت

مستوضحًا:

_ أين هذه القلعة؟ لا أرى شيئًا!

_ لن تراها الآن، فالقلعة تحيط بها هالة تحيل دون رؤيتها، ستظهر حينما تنقشع عنها لساعات محدودة فقط ثم تختفي من جديد!

قلت ساخرًا:

_ ومتى يفترض أن يحدث ذلك؟

_قبل الغروب بقليل.

حينها فقط تذكرت القلعة التي ظهرت في وسط الصحراء فجأة وقت الغروب وحاولت جاهدًا أن أصل إليها لكني عجزت عن ذلك حينما تعثرت بأحد الأحجار لأشاهدها وهي تختفي في الأفق، قلت مخاطبًا نفسي:

_الآن فقط بدأت الرؤية تتضح، لم يؤتَ بي إلى هنا إلا لسبب ما، لا أعلم ماذا سوف يحدث لكن أثق أن لي دورًا هامًا وحتى أعلم ما يجب علي فعله ينبغي أن أعرف الكثير من الأشياء.

_ إلى أي البقاع تنتمي يا عم غانداف؟

_ أجاثكا

_ ولأي غاية خرجت منها؟

قال بأسى:

_ لأجل أهل المدينة يا بني، فمنذ أن أحاطت الهالة بها أخذت بعض الموارد في التناقص، لذا اجتمع الحاكم « هيردوس» برفقة مستشاره وقرر أن يكلف البعض بمهمة جلب الموارد الناقصة من خارج القلعة، لكن كل من غادر القلعة لم يعُد إليها ثانية!

سألت متعجبًا:

_ لماذا؟

_ مهمة التزود بالموارد خطيرة جدًا.

_ كيف ذلك؟

_ حينما تظهر القلعة ونقترب منها نواجه جنود» الملك عقاقيل » الذي يطمع في بسط نفوذه والسيطرة على القلعة، والتغلب عليهم أمر مستحيل، لذا عندما أدرك الحاكم ذلك توقف عن تكليف الآخرين بهذه المهمة، ومع الوقت نفدت بعض الموارد الضرورية وكثُرت

الأزمات والحوادث مثل النهب والصراع على الأشياء، لذا تطوعت

لأجل ذلك.

فكرت قليلًا ثم قلت:

_لمَ لا يرسل الحاكم جميع جنوده ويُنهي هذا الأمر؟

_ جنود عقاقيل ليسوا بشرًا يا بني!

سألته مندهشًا:

_ماذا إذًا؟!

_ لا نعلم شيئًا عنهم غير أنهم أقوياء البنية ذو أعين حمراء تُشع لهيبًا ويطلق عليهم « بني الأحمر » وفريق آخر من الغربان الضخمة تمتلك رؤوس تشبه رؤوس الأسود تقودهم ابنته «أجدال» وتلك الغربان هي من تتعرض لنا أثناء العودة.

صمت من شدة هول ما أصبحت فيه ولم أنبس ببنت شفة وأطلتُ محدثًا نفسي لأهتدي:

_ إن أصابني شيئًا في هذا العالم ستنتقل الإصابة إلى الواقع مثل ما حدث عندما تعثرت بالحجر، هذا يعني أنه من المحتمل أن

أفقد روحي، إن خلدت إلى النوم الآن سأستيقظ في الواقع، لكن عندما أخلد ثانية سأستيقظ وأجد نفسي هنا مرة أخرى، الهروب لم يكن

حلًا يومًا، إنما هو مجرد تأجيل ومُماطلة وسوف يأتي يوم ينبغي علينا أن نواجه ما نفر منه، دائمًا ما كنت أهرب من أي مواجهة وأفر منها إلى النوم مخلفًا جميع ذلك وراء ظهري، هل أفادني ذلك يومًا بشيء؟ إنما أستيقظ لأجد المصاعب والأزمات قد تراكمت ولا زلت أُفضّل الهروب، والآن وقد غدا ما أفر إليه أسوء مخاوفي، إلى أين سأهرب هذه المرة؟ كفاك هربًا فإن هذا لا يغير ما قُدّر لك، قلت وأنا أنظر إلى الرجل بأعين صارمة:

_ الموت بكرامة خير من العيش في إهانة، لقد أصبحتم عبيدًا للخوف والضعف فخشيتم المواجهة، واتخذتم من الهروب حجة بدعوى البقاء، وما هو إلا فرار من أجل لا ريب في أنه سيأتي، لذا حتمًا سيجئ ذلك اليوم مهما كثُرت المحاولات لتأخيره، سيأتي موعد اللقاء ليواجه كل شخص أسوء مخاوفه ويجد نفسه أمام ما أفنى عمره يفر منه، فإن كان اللقاء حتمًا نهاية فلمَ الفرار إذًا؟!

قال موضحًا:

_هذا ليس هربًا أو خوفًا من المواجهة!

_ ماذا تسميه إذًا؟

قال بنبرة صارمة حاسمًا الأمر:

_ أعلم أنه سيأتي يوم نقف فيه أمام جيش عقاقيل وليس من الحكمة الإقدام على ذلك، إضافة إلى أننا لم نتهيأ بعد بالقدر الكافي، هناك فرق بين الاندفاع والتدبير، إن وقفنا أمامهم الآن فإن الهلاك أمر حتمي، يجب أن تدرك جيدًا متى ينبغي عليك التوقف

ومتى تتقدم إلى الأمام، لذا سأحاول جاهدًا أن أحول بيني وبين المواجهة لأكسب مزيدًا من الوقت حتى نتهيأ تمامًا لذلك وعندها فقط سوف نسير إليهم ونحن نعزف ألحان الموت!

ثم أردف:

_ ها، قد وصل الطعام.

التفت إلى الخلف فرأيت شابًا نحيف الوجه قوي الجسد ذو قامة متوسطة وذقن نابتة وشارب قصير يقبض على سيف في يده، تسير بجواره فتاة جميلة دائرية الوجه عيناها خفيفة الزرقة ممسوحة بكُحلةً سوداء بدت أشبه بأعين مهرة برية، تضع فوق رأسها وشاحًا أخضر اللون تنساب منه بعض خصلات شعرها التي تُداعبها الرياح بلطف شديد، وتحمل قوس في يدها اليسرى وفي اليد الأخرى تقبض على ثلاثة أرانب، و فوق ظهرها ثبتت كنانة بها مجموعة من الأسهم.

اقترب الشاب مني ثم وقف وقال:

_ مرحبا، أنا « سانجر » ، وهذه أختي « مادلين ».

قلت مبتسمًا:

_ وأنا خالد.

مادلين:

_كيف حالك الآن؟

قلت وأنا أنظر إلى قدمي:

_ أفضل بكثير.

سانجر :

_ عندما عثرنا عليك كان وضعك سيئًا للغاية ولولا مهارة العم غانداف ربما كنت ستفقد قدمك.

قلت وأنا ألتفت إلى العم غانداف:

_ أشكرك جدًا على مساعدتك.

_ لا داعي للشكر يا بني

ثم أردف قائلًا:

_ هيا يا مادلين أعدي لنا الطعام فلا يزال أمامنا يوم شاق للغاية.

و التفت إلي قائلًا :

_ صحيح لم أسألك إلى أين تتجه؟

شعرت بالارتباك لكني تداركت الأمر سريعًا وقلت مختلقًا كذبة:

_ لا أعلم حقًا فقد خرجت مع قافلة تجارية للتجارة وعندما جنّ الليل قررنا أن نُخيّم في مكان قريب من هنا وفي الصباح استيقظت فلم أجد أحدًا من أفراد القافلة أو أي شيء.

نظر إلَي العم غانداف بصمت ثم قال:

_ من أي البلاد أنت؟

قلت بعد أن فكرت قليلًا:

_ من بلدة تبعد مسيرة ثلاث أيام عن هنا.

_ تقصد بلدة « سافارج».

أجبته سريعًا:

_ نعم هي بالضبط.

ابتسم ثم قال بعد أن صمت كثيرًا:

_ سنتجه نحو أجاثكا بعد قليل وأظنك أصبحت على علم بما سنواجهه لذا فكر إن كنت ترغب بمرافقتنا أو الانتظار هنا.

_ حسنًا سأفكر في الأمر.

_ اذهب إلى الخيمة لترتاح قليلًا فلا زالت جراحك حديثة وسنتناول الطعام لاحقًا وأعلم قرارك.

اقترب سانجر من العم غانداف وقال وهو ينظر إلى خالد الذي كان يسير مبتعدًا نحو الخيمة:

_ أقرب بلدة من هنا «خزمير» ولم أسمع يومًا ببلدة تسمى « سافارج ».

ابتسم وقال وهو يتقدم نحو مادلين التي كانت تجلس بجوار لهيب قامت بإشعاله لإعداد الطعام عليه:

_ ولن تسمع عنها يومًا!

***

_لم أدري ماذا أفعل هل أخلد إلى النوم حتى أستيقظ وأقُصّ على خالي أحمد ما حدث مكتفيًا بهذا القدْر أم أنتظر قليلا لأعلم أكثر؟ هناك شيء غريب يدفعني إلى الذهاب برفقة العم غانداف بالرغم من أن احتمال الموت أمر وارد فلا أعلم كيف سنجتاز جنود الملك عقاقيل لنتمكن من الولوج إلى قلعة أجاثكا، لا سبيل للهرب لا يوجد إلا طريق واحد لإنهاء كل ذلك.

في الخارج اجتمع كُلا من مادلين و سانجر و العم غانداف حول النار ودار بينهم الحوار التالي:

مادلين وهي تقلب الأرانب فوق النار:

_ هل هذا هو الشخص الذي ننتظر قدومه؟

العم غانداف بثقه:

_ نعم هو

_ إذًا أليس من الأفضل أن يعلم دوره وما يجب عليه القيام به؟

العم غانداف وهو يحدق في ألسنة اللّهب:

_ ليس قبل أن يدرك ما نحن بصدده ومدى خطورة الأمر.

سانجر :

_ يجب تأهيله أولًا حتى يكون مستعدًا لما سيأتي.

_ ستكون هذه مهمتكما، أنتما الاثنان ستدربانه جيدًا، وإلى أن يتضح قراره لا تذكرا أمامه أي شيء هل هذا واضح؟

هزت مادلين رأسها إيجابًا وأتبعها سانجر بالموافقة وبعد دقائق خرج خالد من خيمته ووقف أمامهم قائلًا:

_لقد اتخذت قراري.

***

_قلت وأنا أنظر إليهم:

_ لقد اتخذت قراري.

مادلين:

_ ماذا قررت؟

_ سوف أتجه معكم إلى أجاثكا

سانجر:

_الأمر خطير جدًا ولست مجبرًا على ذلك.

قلت بثقة:

_ أعلم هذا، ولم أقرر ذلك إلا عقب أن فكرت بالأمر جيدًا.

العم غانداف:

_ حسنًا يا بني، اجلس وتناول طعامك.

قدمت لي مادلين نصيبي من الطعام بعدما جلست بجوار سانجر، قلت ناظرًا إلى العم غانداف:

_ لا أقصد التقليل من شأنكم لكن كيف سنتجاوز جنود الملك عقاقيل فلا نمتلك أسلحة غير سيف وبضعة سهام.

ابتسم سانجر وقال:

_ أتظن أن هذه هي المرة الأولى التي نواجه فيها جنود عقاقيل ؟!

_لا أعلم لكن وودت أن أدرك كيف سنفعل ذلك؟

العم غانداف:

_ دع عنك هم التفكير سنتكفل نحن بإنهاء الأمر وما هي إلا بضعة ساعات وستشاهد بعينك ما يحدث!

ـأمضيت الساعات الباقية حتى يأذن الغروب أحاول أن أعرف أكثر حتى علمت أن الملك عقاقيل كان لديه رغبة في بسط نفوذه وسيطرته على الممالك الأخرى، وقد تمكن بالفعل من السيطرة على بعض المناطق الصغيرة في البداية، ومع مرور الوقت تمكن من إخضاع جميع الممالك القريبة منه له، كانت قوته تزداد بسرعة واسمه ينتشر في جميع الأنحاء حتى عُرف بين الشعوب بلقب «المغير» وهذا لأنه لا يترك مكان قريب من حدوده إلا ويغير عليه، لم يتمكن أي ملك من أن يصمد في مواجهته والفضل في ذلك يرجع إلى جيشه الذي لا يعلم أحدًا كيف حصل عليه، حتى جاء يوم وقرر أن يمد نفوذه إلى الخارج وسلّط نظره على أقوى وأقدم

القلاع « بابكا » و « أجاثكا»، قال العم غانداف مسترسلًا حديثه:

_تقع بابكا في الجهة الشرقية من أجاثكا وحتى يتمكن من الذهاب إليها كان يجب أن يمر أولًا من أمام أسوار أجاثكا، وحينما وصل النبأ أخذنا جميع الاحتياطات واستعددنا لمواجهته، وبالفعل لم يمر الكثير من الوقت حتى رأيناه يقف على رأس جيشه أمام الأسوار، لم نستطع إحصاء إلا عشرين ألف من جنوده وذلك العدد لا يُمثل إلا الربع! أكثر شيء دبّ الرعب في أفئدتنا هو هيئة جنوده، كانوا سود الوجوه وضخام البنية ذوي أعين حمراء تشتعل لهيبًا، كان هناك فيلق آخر يتجاوز الثلاثمائة مكون من غربان ضخمة تمتلك رؤوس تشبه إلى حد كبير رؤوس الأسود تتقدمهم فتاة ممشوقة القوام ذات وجه دائري نضر للغاية وبشرة بيضاء وكأنها قد انشقت من القمر، وشعرًا حريري أسود مثل الليل يبلغ منتصف ظهرها وأعين زرقاء بالكامل لا بياض فيه بدأت كأية وعلامة من علمات الجمال ، أدركنا منذُ اللحظة الأولى أننا سنخسر إن قررنا المواجهة لكن ما حدث أذهلنا جميعًا!

قلت في لهفة:

_ ماذا حدث؟!

العم غانداف:

_استدار عقاقيل برفقة جنوده.

قلت متعجبًا:

_ ولمَ فعل ذلك؟ وكان باستطاعته التغلب عليكم.

_ لن أنسى ما حييت ابتسامته قبل أن يرحل زاحفًا نحو بابكا وهو يشاهد الفزع في وجوه الجنود، لم يقف أمام أسوار

أجاثكا إلا لغاية واحدة.

_ ما هي؟

مادلين:

_ تقييم مدى قوة الجنود، وعندما أدرك أن أسوار أجاثكا المنيعه لن تصمد أمامه بضع دقائق اتجه لغزو بابكا مؤجلًا الحصاد ليوم آخر!

_ وماذا حدث في مملكة بابكا ؟

قالت بحزن:

_ بعد بضع ساعات من رحيل عقاقيل وجيشه علمنا أنه تمكن من السيطرة على المملكة وقتل جيشه الكثير من أهل بابكا دون أن تأخذهم شفقة بشيخ أو رحمة بطفل يتشبث برداء والدته، عندها علمنا جميعًا أن الشاة التالية هي أجاثكا!

قلت مستفسرًا:

_ لكن كيف كان سيخترق الهالة التي تحيط بالمملكة؟

_ الهالة لم تتكون إلا بعد النبوءة عقب سقوط اللوح من السماء

بثلاثة أيام فقط.

_ أي نبوءة؟ وأي لوح ؟

همّت مادلين بأن تجيبني لكن العم غانداف نظر إليها بحدة:

_ سنسترسل الحديث لاحقًا فقد أذن الغروب، هيا تجهزوا.

وأردف وهو ينظر إلى مادلين وسانجر:

_ سأسير أنا وخالد أمامكما الحقا بنا بالجمال ولا تتأخرا.

***

توارت الشمس خلف الجبال وبدأ ضوءها يخفت شيئًا فشيئًا حينها فقط تذكرت حديث «خالي أحمد» حينما قال:

_تذكر عند الغروب

كيف نسيت ذلك، لكن لا يوجد وقت الآن للتراجع أو للانتظار، قلت للعم غانداف بعد أن تجاوزنا ساعة من العدو:

_ هل يزال أمامنا الكثير؟

نظر إلى الأمام بحدة ثم قال:

_ لقد وصلنا!

قلت وأنا أنظر في جميع الاتجاهات من حولي:

_ لا أرى شيئًا!

كان العم غانداف يحدق أمامه دون أن يحيد نظره بل أصبح أكثر حدة :

_ إياك أن تتحرك خطوة واحدة عن جواري.

قلت وأنا ألتفت إلى الخلف لأرى سانجر ومادلين وهما يقتربان بالجمال:

_ كما تشاء.

بعد دقائق وصل سانجر ومادلين لم ينبسا ببنت شفة بل شاركا العم غانداف في التحديق إلى الأمام بذات الحدة في صمت تام قلت محدثًا نفسي:

_ ما خطب هؤلاء؟

وما أن انقشع شعاع الضوء الأخير من الشمس وانزوت بالكامل خلف الجبال أخرجت مادلين سهمًا من كنانتها وأشهر سانجر سيفه أما العم غانداف فقد وضع عصاه أمامه وقبض عليها بشدة وقال:

_ لقد حان الوقت

ثم وجّه حديثه نحو مادلين وسانجر قائلًا:

_ لا أريد أن يصيب خالد أي شيء.

هزت مادلين رأسها إيجابًا وهي تضع السهم في القوس وتشده بقوة موجهة إياه إلى الأمام، دنا سانجر مني حتى صار بجواري وأصبح ساعده ملاصقًا بساعدي، فأصبحت أقف بين العم غانداف وسانجر وبجواره تقف مادلين، نظرت إلى الأمام وشعرت بسعادة عارمة حينما رأيت في الأفق أسوار القلعة التي رأيتها سابقًا تظهر ثم تختفي مثل الوميض حتى أصبحت واضحة بالكامل، قلت بسعادة عارمة وكأني قد اكتشفت شيئًا عجيبًا:

_ إنها القلعة لقد ظهرت.

لم يجيبني أحد فالتفت إليهم وجفلت حينما رأيت أبصارهم جاحظة من شدة القلق، حتي استشعرت ارتجاف سانجر وهو يحتك بكتفي، التفت ثانية ونظرت إلى الأمام وذُعرت بشدة عندما رأيت اثنين من الغربان الضخمة برؤوس الأسود يتقدمهما غراب ثالث أكبر حجمًا منهما، تقدم الغراب الأكبر حجمًا إلى الأمام قليلًا ثم زأر بقوة مخيفة حتى أصبحت أسناني العلوية لا تتوقف عن الاصطكاك بالصف

الأسفل!

نظر إلَي العم غانداف ثم قال:

_ لا تقلق لكن تذكر إياك أن تتحرك خطوة واحدة عن جواري.

تراجعت إلى الخلف بضع خطوات خوفًا وغرابة حينما سمعت الغراب الأكبر يتحدث بصوت أجش وفحيح لا يقل بشاعة

عن منظره وهو ينظر إلَي:

_ إذاً هذا هو!

ثم دار حولنا وهو لا يزال يطالعني بعينيه السوداوين حتى استقر في موضعه السابق وقال:

_ لا تعلم كم انتظرت لقياك أيها الغريب!

ثم فتح فاه كاشفًا عن لسان مثل الأفعى وأردف:

_ سوف يبتهج الملك عقاقيل حينما أضع رأسك الوضيع أسفل قدميه

همّ أن يتقدم نحوي لكن مادلين شدت القوس بسرعة لتُصيب عينه اليُسري مباشرة، تراجع إلى الخلف قائلًا وهو يزأر بقوة وغضب أكبر مما سبق:

_ لا مفر هذه المرة يا غانداف!

ثم فرد جناحيه اللذان لا يقلّا ضخامة عن جسده وحلق عاليًا وقد استقر موضعه فوقنا مباشرة، حلق الغرابان الآخران ووقفا بجواره وقد أشهر ثلاثتهم مخالبًا أشد حدة من السيوف قال أكبرهم:

_ دعا الفتى لي وتوليا أمر الآخرين.

ثم اندفعوا ثلاثتهم دفعة واحدة تجاهنا....

***

مادلين وهي تهز جسدي:

_ خالد أفق لقد انتهى الأمر، سنذهب إلى أجاثكا

نظرت بأعين زائغة إلى العم غانداف وسانجر ومادلين وهم

جاثيين على رُكبهم بجوار رأسي، التفت نحو الجنوب بضعف لأرى أشلاء من أجساد الغربان الممزقة لكن لا يوجد إلا رأسان فقط أين ذهب الثالث؟!، اقترب العم غانداف وسانجر وحاولا مساعدتي على النهوض عندها كانت مادلين تقف على بعد خطوات منّا وهي تنظر مبتسمة، قال العم غانداف وهو يضع ذراعي فوق كتفيه بينما وضع سانجر الذراع الأخرى فوق كتفيه هو الآخر:

_ هيا يا بني يجب أن ندخل المملكة قبل أن تختفي ثانية.

سرت بوهن شديد متكأ على العم غانداف وسانجر بينما كانت مادلين تسير خلفنا مبتسمة ابتسامة لن أنساها أبدًا عندما التفت برأسي إليها حاولت أن أخبرها بشيء لكن لم أتمكن من التفوه بحرف لتزداد ابتسامتها أكثر، حاولت أن أتحدث مجددًا وأنا أنظر إليها بأعين جاحظة وأخيرًا استطعت أن أتحدث فقلت:

_ احذري خلفك!

التفت العم غانداف وسانجر بسرعة إلى الخلف حينما سمعا كلماتي التي لم تبلغ مسامع مادلين، قال سانجر برعب وخوف شديدين وهو يترك ذراعي ويهرول مسرعًا نحو مادلين صارخًا:

_ خلفك!

نظرت مادلين بسرعة للخلف لتفاجأ بالغراب الثالث يضربها بأحد مخالبه بقوة شديدة لتسقط على الأرض!

الفصل الثالث

هوسكا

دلفنا سريعًا خلف والدي الذي هرول إلى الغرفة لنشاهد ما بث الرعب والفزع بداخلنا!

حدقت به في ثبات تام وأنا أرى صدره الذي تسيل منه الدماء من أسفل القميص، أسرع والدي وقام بنزعه لأضع يدي على فمي وأتراجع إلى الخلف من هول الصدمة، كان هناك جرح غائر يشطر صدره إلى نصفين، صرخ أبي قائلًا وهو يحاول إيقاف تدفق الدماء:

_ أحضري مناشف نظيفة وماء بسرعة.

تشتت كلماته قبل أن تصل إلى مسمعي، لم أميّز أي حرف مما قال، كنت أحدق في جمود في ذلك السائل الأحمر الذي يستمر في التدفق، نظر إلَي والدي ثم قال صارخًا:

_ لمَ تزالين واقفة؟

قالت والدتي بعد أن استجمعت رباطة جأشها:

_ سأحضرها لك حالًا.

ثم قبضت على ساعدي وجذبتني إلى الخارج برفقتها وذهبت لجلب الماء والمناشف، وعندما عادت قالت:

_ ابقي هنا سأذهب وأعطي والدك الأغراض ثم أعود.

نظرت إليها بأعين زائغة وفؤاد وجل، وأومأت برأسي إيجابًا دون أن أفهم شيئًا فقد كانت تتحدث ببطء شديد للغاية، سرت

بخطى ثقيلة نحو الغرفة ووقفت في الخارج أشاهد أبي وهو يقوم بتنظيف الجرح ولسانه لا يتوقف عن ذكر الله بينما وقفت والدتي فوق رأسه، كان العرق يقطر من جبينه مرددًا اسم مادلين، من تكون هذه الفتاة؟ هممت بأن أدلف إلى الداخل لكن والدتي التفتت إلَي ثم أقبلت وأوصدت الباب في وجهي، تراجعت إلى الخلف وألقيت بجسدي المتهالك عند أول مقعد لأجلس أُناشد الوقت بأن يمضي، ثانية ثم دقيقة وأخرى، كل واحدة بدت أشبه بجلاد يمزق فؤادي بتلذذ دون شفقة، حتى أقرّ بما كنت أضمره هاتكًا ستر مشاعري لتصبح عارية أمام ناظري، لقد كنت أهرب إليه لا منه! لم يحدثني قلبي عنه يومًا أو تتسارع نبضاته عند ذكر اسمه، لم يكن ذلك جفاء أو إعراض بل لأني أحببته بصدق دون زيف، فضلت الابتعاد عن

الاقتراب، والسر على الجهور، أخذت من الفرار سترًا أخفي به سؤة مشاعري، شيدت الحصون لكي لا يأتي غازٍ إلى فؤادي، و أبرمت ميثاق على نفسي وهو أنني لن أسير إليه حتى يأتي مهرولًا، لن ألقي سيفًا او أخفض درعًا حتى آخذ منه الأمان، لن يأتي غاز يدكّ الحصون بل عابرًا طيب الأثر يرمم بقايا روحي المرهقة ويزيل من فؤادي شظايا السنين، رفيق صالح في الدرب يرشدني إن ضللت، ويأخذ بيدي إن أخفقت، يتغاضى عن زلتي، ويعفو إن قصرت...

أفقت من شرودي على صوت باب الغرفة، قلت بعد أن رأيت والداي يخرجان من الغرفة:

_ كيف هو الآن؟

قال أبي برجاء:

_ إن شاء الله سيكون بخير.

قلت هامسة لنفسي:

_ إن شاء الله، ثم قلت:

_ ماذا عن ذلك الجرح، كيف يمكن أن يصاب به وهو نائم؟

قال وقد بدت على وجهه ملامح القلق:

_ لقد استغرق في نومه أكثر من الحد الطبيعي وأصيب ثانية أثناء نومه بإصابات لا يمكن أن تحدث صدفة وربما هذا يؤكد صدق حديثه.

قالت والدتي:

_ لم أكن أصدق ما قال سابقًا وكنت أجاري الوضع أما الأن...هل انتقل بالفعل إلى عالم أخر؟

تقدم أبي إلى الأمام ثم جلس على أحد المقاعد وقال بعد أن زفر بضيق:

_ لا أعلم حقًا هناك جزء بداخلي يرفض تصديق هذا مع أن جميع ما قد حدث يؤكد الأمر، وذلك الجرح لا يصاب به المرء إلا إن تعرض للهجوم.

قلت في ذعر:

_ هل هناك خطر على حياته؟

_ ادعوا أن يمر الوقت دون أن يصيبه شيئًا آخر وإلا يذهب بعيدًا في سباته.

_ من تكون مادلين هذه؟

_ ربما شخصية قد التقي بها في حلمه، إن شاء الله سيفيق قريبًا ونعلم منه كل شيء

جلسنا بالقرب من الغرفة ترقبًا لأي شيء قد يحدث،

لم أتوقف عن التفكير حول ماهية مادلين ولماذا يذكرها أثناء نومه، نقرأ أشياء كثيرة كل يوم قصص وروايات دون أن ندري أي الكلمات قد تقلب حياتنا رأسًا على عقب، فنحن نقرأ يوميًا مئات الأشياء، ماذا سوف يحدث لو قرأت في وقت ما بضعة أحرف من غير أن تلقي لها بالًا فتذهب بك إلى حيث لم تتوقع يومًا؟! أتمنى أن يستيقظ في أقرب وقت لأعلم ما حدث وأقصّ عليه ما أخفيت عنه لن أخبئ ذلك أكثر فقد تتغير الأفئدة، قال أبي بعد مرور بعض الوقت:

_ سأذهب لأطمئن عليه.

قالت والدتي وهي تقف:

_ سأذهب أنا، ابقَ أنت.

انتظرت أنا وأبي في الخارج والأسئلة تدور مثل المطاحن بداخلنا، أصبح القلق سبع ينهش عظام جسدي بنهم شديد حين غابت والدتي داخل الغرفة لبعض الوقت، قبل أن تخرج وهي تقول بسعادة:

_ لقد استعاد خالد وعيه!

***

_ رأيتهم ينظرون إلَي بقلق وخوف شديد، قلت مبتسمًا وأنا أنظر إلى خالي أحمد الذي يقف فوق رأسي مباشرة:

_ أعتذر لأنني لم أفق في الوقت المحدد.

ابتسم بوهن ليشيح عن شدة قلقه:

_ لا بأس يا بني، أخبرني كيف حالك الآن؟

_ الحمدلله بخير.

ثم التفت إليها عندما تحدثت لأراها تقف خلف والدتها، بدت غريبة لي، لأول مرة أعجز عن قراءة عينيها فقد كانتا مبهمتين، نظراتها تحمل شيئًا لم أراه سابقًا، لم أعهد تلك اللمعة فيهما أو أستشعر ذلك الدفء في حديثها قبل ذلك، هناك شيء قد طرأ عليها ما هو؟!

_ ما الذي حدث؟ وكيف أصبت بذلك الجرح؟

ثم صمتت وأردفت وهي تنظر بغضب قليل وفضول أشد:

_ ومن مادلين هذه؟ فقد كنت تذكرها أثناء نومك.

_ أحقًا فعلت ذلك؟

قالت وهي تقضن حاجبيها:

_ لم تتوقف عن ذكر اسمها لثانية واحدة.

قال خالي:

_ أخبرني ما حدث منذ أن خلدت إلى النوم.

قصصت عليهم ما حدث منذ البداية ثم تنهدت قائلًا:

_ هجم الغراب الأكبر حجمًا علَي لكن سانجر وقف فجأة أمامي واشتبك معه بالسيف أما الغراب الثاني فقد اشتبك مع العم غانداف وحاول إصابته عدة مرات لكنه كان يتفادى جميع محاولاته بخفة وبسرعة شديدة لا تنُمُّ عن عمره، أما الغراب الثالث ركض على أرجله بسرعة شديدة نحو مادلين التي وقفت ثابتة وقبل أن يصل إليها أصابته بأحد الأسهم أسفل صدره لكنه بدا غير متأثر بذلك فواصل ركضه نحوها ثم ضربها بأحد جناحيه بقوة ألقت بها أرضًاوتقدم نحوها وهي طريحة فوق الرمال، رفع أحد أرجله وكاد أن يحطم بها صدرها لولا أن سانجر أسرع إليها

وبتر رجله بالسيف ليسقط على

الأرض وهو يزأر بضعف قبل أن يفصل سانجر رأسه بالسيف، عندما رأى الغراب الأكبر ذلك استشاط غضبًاوتقدم نحوي بسرعة شديدة وقبل أن أتجنب هجومه أصابني بمخالبه في صدري بقوة ألقت بي أرضًا، ثم تابع تقدمه نحوي، هم سانجر بأن يضربه بالسيف لكنه باغته بضربة بأحد جناحيه دفعت به بعيدًا، ثم وقف فوق رأسي

قائلًا بغضب شديد:

_ لم يكن عليك الانخراط في أمور لا تعنيك، الآن ستدفع الثمن!

رفع أحد رجليه كاشفًا عن مخالبه الحادة، نظرت إلى العم غانداف وأنا فريش الأرض والغراب الاكبر فوق رأسي مباشرة، كان يشتبك مع الغراب الثالث فالتفت إلَي وقبل أن يوجه الغراب ضربته نحوي، رفع العم غانداف عصاه عاليًا وتمتم ببعض الكلمات وضرب الأرض

بالعصا بقوة، اهتزت الأرض عقب ذلك حتى فقد الغراب الأكبر ثباته وسقط على الأرض من شدة الاهتزاز، نظرت في هلع حولي حينما سمعت صوت عواء قوي للغاية يصدر من الأرجاء، التفت إلى الجنوب فرأيت ذئب رمادي بلغ حجمه ضعف الغراب الأكبر يركض سريعًا، دبّ الخوف في داخلي من هيئته، استعاد الغراب الأكبر ثباته ووقف يطالع بغضب الذئب الذي كان ينظر إليه كاشفًا عن أنيابه، هجم الغراب على الذئب لكنه التف حوله بسرعة وقبض بفكيه على أحد جناحيه بقوة حتى أوشك أن يقتلعه، استطاع الغراب التحرر من قبضته ولطمه في وجهه

بجناحه ثم فر قائلًا:

_ سوف تدفع ثمن ذلك غاليًا يا غانداف!

التفت الذئب نحو الغراب الثالث وانقض عليه بغتة قاضمًا رأسه بفكيه ثم ألقى به بعيدًا، اقترب العم غانداف من الذئب ووضع يده فوق رأسه ومال برأسه هامسًا بالقرب من أذنه:

_ يمكنك الرحيل الآن يا عوف.

بعدها استدار الذئب وركض بعيدًا..

اقترب مني العم غانداف وسانجر كانت إصابتي بليغة وقاما بمساعدتي على النهوض كي نتوجه نحو أجاثكا، سارت مادلين بالخلف التفت إليها فوجدتها تبتسم غير مدركة للخطر الذي يأتي من خلفها فقد عاد الغراب الأكبر وكان يتقدم نحوها بسرعة، حاولت أن أُحذرها لكن لم تصل إليها كلماتي لشدة إعيائي، وعندما سمعني العم غانداف وسانجر التفتا إليها سريعًا وقام سنجر بتحذيرها لكن بعد أن فات الأوان فما أن استدارت إلى الخلف وجه إليها الغراب ضربة قوية بأحد مخالبه ثم رحل بعيدًا.

قالت إيمان بحزن:

_ وكيف هي الآن؟

_ لا أعلم فبعد ذالك غبت عن الوعي ولا أتذكر ما حدث.

ربت خالي احمد علي كتفي قائلًا:

_ إن شاء الله ستكون بخير لا تقلق.

إيمان:

_ ماذا ستفعل الآن لا يمكنك العودة إلى هناك مرة أخرى فقد رأيت ما حدث معهم ولن تتحمل أن تصاب بشيء آخر؟!

قلت بثبات:

_ لا فائدة من الهرب، حتمًا سأخلد إلى النوم في وقت ما وأكمل باقي الأحداث، لذا لا يوجد حل إلا مواجهة ذلك.

همّت بأن تتحدث لكن خالي قال:

_ أتفق معك يا بني، كثير منّا يفضل الهروب من المستقبل أو المشاكل أو من أي شيء يخشاه لكن ذلك ضعف فإلى متى يهرب؟ حتمًا سوف يأتي يوم ويواجه ما يخشاه لذا من الأفضل أن نواجه مخاوفنا بدل من أن نحاول الهرب أو التملص منها.

ثم أردف:

_ متى ستذهب إلى هناك ثانية؟

_الآن، فقد تكاثرت علامات الاستفهام عقب هجوم جنود عقاقيل.

_ كما تشاء يا بني لكن اعتني بنفسك جيدًا ولا تقلق سأكون بجوارك دائمًا.

تقدمت إيمان حتى أصبحت بجواري تمامًا ثم قالت وهي تنظر إلَي:

_ تذكر دائمًا أن هناك من ينتظرك وإن كنت في الجزء الآخر من العالم!

***

_حلق الغراب عاليًا واستمر في التحليق حتى بلغ أسوار قلعة « هوسكا»بوابة الجحيم، أو كما يطلق عليها البعض البوابة الفاصلة بين عالمي الإنس والجن، قام الملك عقاقيل بتشييد هذه القلعة حول حفرة عميقة اعتقد بعض البشر أنها باب من أبواب

الجحيم؛ ذلك لأنه كان يلقي جميع أعدائه بداخلها، عاش أهل القلعة في رغد ورخاء في ظل حكمه، وعرف بالعدل والرأفة بينهم، وفي يوم من الأيام استيقظ سكان القلعة على أصوات صاخبة ومخيفة جدًا بثّت الرعب والفزع في نفوسهم وعندما قاموا بتتبع مصدر تلك الأصوات وجدوا أنها تنبعث من داخل الحفرة، دب الخوف والفزع في نفوسهم، استمر الأمر سبع ليالي كاملة في كل ليلة تتجدد أصوات الصراخ وخلال هذه المدة لم يهنأ الملك وشعبه بالنوم إلا في النهار فقط، ارتعد الملك عقاقيل من شدة الخوف حينما أخبره أحد السحرة أن تلك الأصوات أرواح أعدائه الذين ألقى بهم داخل الحفرة وأنهم قد عادوا من أجل الانتقام، وعندما حلت الليلة الثامنة بدأت تخرج من الحفرة كائنات مخيفة جدًا سود الوجه وذات أعين تشتعل لهيبًا يبلغ أحدهم مقدار عشرة أذرع، كانوا يتجولون في الطرق ليلًا ونهاراً ويذبحون كل من تقع أعينهم عليه، لجأ أهل القرية إلى مساكنهم ولم يخرج أحد منهم لمدة ثلاثة أيام حتى الملك لم يفارق غرفته، وفي يوم اختفت الكائنات فجأة وعندها قرر الملك أن يخرج ليطمئن على شعبه لكن لم يجد أي أحد، لم يبقى إلا هو وابنته البالغة من العمر عشرة أعوام !! لم يدري ماذا يفعل وعندما قرر أن يفر بروحه وبروح ابنته من القلعة وجدا عليها حارسين من الكائنات الغريبة لذلك عادا ثانية وانزويا داخل القصر، استيقظ الملك في اليوم التالي على أصوات حركة ونشاط داخل القلعة فرح جدًا وخرج مسرعًا لرؤية شعبه ظنًا منه أنهم قد عادوا ثانية، تسمر في مكانه لشدة الفزع عندما رأى أعداد غفيرة من تلك الكائنات تجوب أنحاء القلعة، استغرب عندما حدق به أحدهم ثم انصرف غير مبالي به! كان هناك ثلاثة

من تلك الكائنات يقفون على بعد منه، تجرأ وسار إليهم ثم وقف بينهم، التفتوا إليه جميعًا في وقت واحد فتراجع مفزوعًا إلى الخلف بضع خطوات وهو ينظر إليهم، لكنهم انفضوا من حوله، عندها علم الملك أن تلك المخلوقات أيً كانت لا تنوي إيذاءه، بعد ذلك أصبح يتجول بينهم بحرية دون خوف ويستمع إلى حديثهم لكن لم يكن يدرك شيئًا من لغتهم، وفي يوم من الأيام وبينما هو جالس في قصره دلفت إليه ابنته ومعها إسورة ذات فصوص زرقاء وأخرى ذات فصوص حمراء، وضعت الزرقاء في معصم يدها ثم اقتربت من والدها ومدت له الإسورة الحمراء، أخذ الإسورة من ابنته وتفحصها ثم سألها:

_ ما هذه الإسورة الجميلة من أين أتيت بها؟!

قالت الفتاة بمرح:

_ أعطاها لي صديقي هي وهذه الإسورة الزرقاء.

استغرب عقاقيل من جواب ابنته وقال متعجبًا:

_ أي صديق؟

نظرت الفتاة إلى الخلف ثم قالت:

_ تعال إلى هنا يا « شاثبر»

انتظر بعض الوقت ولم يأتِ أحد ثم أخرج سيفه بسرعة حينما رأى غرابًا ضخم الحجم ذو رأس يشبه رأس الأسد ومخالب حادة للغاية يتقدم نحو الفتاة، وقف عقاقيل أمام ابنته وشهر سيفه في وجه الغراب ثم قال:

_ إياك أن تقترب أكثر.

خرجت الفتاة من خلف أبيها ووقفت بينهما قائلة وهي تنظر لأبيها:

_ لا تقلق يا أبي لن يؤذيني إنه صديقي!

هم بأن يقبض على يد ابنته ويأخذها بعيدًا لكنه توقف مذهولًا حينما سمع الغراب يتحدث بصوت أجش يشبه فحيح الأفعى!

_ لا تقلق يا عقاقيل لن أقوم بإيذائها .

سئل في ريبة:

_ من تكون وماذا تريد؟

_ أنا شاثبر، وجئت لأقدم إليك خدمة.

_ أي خدمة؟

_سأمنحك القدرة على السيطرة على تلك الكائنات بالخارج!

ضحك عقاقيل ثم قال:

_هل تهزأ بي كيف ستفعل ذلك؟

قال الغراب:

_ ضع الإسورة الحمراء حول معصمك وستدرك كل شيء.

نظر إليه بقلق وإلى الإسورة التي بين يديه، اقتربت منه ابنته قائلة:

_ استمع إليه يا أبي.

قرّب عقاقيل الإسورة من معصمه بتردد وخوف وما أن وضعها حتى شعر بألم يفتك بجميع بدنه، سقط على الأرض وهو ينظر إلى الغراب بغضب قائلًا:

_ أيها المخادع.

ازداد الألم أكثر حتى شعر بأن جسده يتمزق إلى مائة جزء ثم توقف الألم فجأة! مدت له ابنته مرآة وهو جالس فوق الأرض، وعندما نظر إليها فغر فيه حينما وجد عيناه قد أصبحتا حمراوين

وجسده قوي للغاية بات يشبه تلك الكائنات الغريبة بل أقوى منهم، قبض على المرآة بيده حتى تهشّمت ثم نظر إلى « شاثبر « وقال:

_ أخبر الجميع أيها اللعين أن الملك قادم.

خرج شاثبر وبعد دقائق تبعه الملك عقاقيل وخلفه ابنته وعندما وقف أمام تلك الكائنات التفتوا جميعًا إليه ثم أحنوا رؤوسهم جميعًا عندما رأوا الإسورة الحمراء على معصمه، نظر إليهم ثم ابتسم في مكر!

***

_هبط الغراب الجريح في ساحة القلعة وكان بانتظاره غراب آخر يفوقه كثيرًا في الضخامة والقوة فقال له بغضب بعد أن دار حوله متفحصًا جسده:

_ ما الذي حدث؟

الغراب الجريح بضعف شديد ورأس مطأطأ إلى الأسفل:

_ سيدي شاثبر، لقد ظهر الشخص المختار.

شاثبر بقلق:

_ وأين هو الآن؟

_برفقة غانداف.

شاثبر :

_ ذلك العجوز تسبب لنا بالكثير من المشاكل.

الغراب وهو يئن من الوجع:

_ حاولنا التخلص منه لكن غانداف تصدى لنا هو ومن

معه وقاموا بحمايته، قُتل من كان معي وفررت أنا لأخبركم بالأمر، إصابتي بليغة أحتاج إلى العلاج يا سيدي ما عدت أقوى على تحمل الآلام.

اقترب شاثبر من الغراب وقام بفرد جناحه الأيسر فوق جسده ثم

قال:

_ لقد أديت مهمتك كما يليق سأمنحك علاجًا لجروحك.

الغراب بسرور وامتنان:

_ أشكرك يا سيدي.

أنزل شاثبر جناحه من فوقه الغراب ثم تقدم إلى الأمام قليلا موليًا ظهره له، وبسرعة شديدة استدار فاصلًا رأس الغراب بجناحه، قال وهو ينظر إلى رأسه المبتور:

_ لا يوجد شفاء أفضل من الموت!

تقدم شاثبر بعد ذلك نحو القصر حتى وصل إلى فتاة شديدة الجمال تبلغ عشرين عامًا، ترتدي رداءً أسود يبلغ أخمص قدميها مفتوح قليل من الأعلى ومن الجانب، أحنى شاثبر رأسه بخضوع تام قائلًا:

_ مولاتي أجدال لقد ظهر المختار وهو الآن برفقة غانداف.

أجدال بسرور :

_يجب إعلام الملك عقاقيل سريعًا.

_قال عقاقيل وقد سره الخبر:

_ وأخيرًا، أين هو الآن؟

أجدال:

_ بصحبة غانداف.

نظر عقاقيل إلى شاثبر وقال بغضب:

_ ألم أكلفك بمهمة التخلص من ذلك العجوز؟

قال شاثبر ورأسه مطأطأ:

_ أعتذر يا مولاي، لقد أرسلت ثلاثة من أفضل الغربان لقتله.

_يبدو أن غربانك أصبحت ضعيفة ولا نفع لهم.

_ إن شئت أرسلت مجموعة أخرى لتقفي أثره وقتله عند أول فرصة.

قال عقاقيل ساخرًا:

_ أخبرني كم فردًا من مجموعتك قد تمكن غانداف من قتلهم ؟!

لم يجب شاثبر من حدة الموقف الذي أصبح فيه فقد تمكن غانداف من قتل كل من يرسله إليه حتى اهتزت صورته.

أردف بعد أن أطال التحديق إليه وهو ينظر للاسفل بخزي و لم ينبس ببنت شفة:

_ اخرجا الآن سأقرر اليوم ما يجب فعله وأخبركما في الغد.

في اليوم التالي وقبل الغروب قليلًا استدعى عقاقيل شاثبر وابنته وقال بعد أن وقفا أمامه:

_ لقد اتخذت قراري جيدًا فيما سأقوم به.

أجدال:

_ ماذا قررت يا أبي؟

_ سأذهب إلى أجاثكا وأتقصى عن أمر الشخص المختار.

أجدال بخوف وقلق:

لا يمكن ذلك، إن هذا يشكل خطرًا كبيرًا عليك.

عقاقيل بصرامة:

_لقد اتخذت قراري ولا أرغب في أن يناقشني أحد.

شاثبر:

_ عذرًا يامولاي لكن كيف ستتمكن من الولوج إلى أجاثكا فالهالة ستحول بينك وبينها حتى وإن زالت بعد الغروب فإن أرضها أصبحت محرمة علينا بعد النبوءة؟!

قال بهدوء:

_ لا تشغل عقلك بذلك فأنا على علم بما سأفعله.

_ حسنًا يا أبي سأذهب معك.

_ ستبقين هنا لإدارة شؤون المملكة حتى عودتي.

شاثبر:

_ أستأذنك يا مولاي في أن أنال شرف مرافقتك.

_ ستبقى بجوار أجدال وتساعدها في الحكم، لا أريد أن يتغير أي شيء إلى حين عودتي.

ثم اقترب من ابنته وأمسك يدها برفق وقال:

_ أعلم أنها مهمة شاقة عليك لكني أثق بك، سآتي قبل أن ينتابك شعورًا بالفقد، ليس لي سواك وكل ما أفعله من أجلك، أرِهم جميعًا من هي ابنة الملك عقاقيل، أريد أن أرى الأعين ترتعد رعبًا عند ذكر اسمك، والأفئدة ترتجف في الصدور عند رؤيتك، إياك والعاطفة فإنها قيد يحول دون الأماني لذا لا تنصتي يومًا لفؤادك...

ثم قبّل جبينها وأردف:

_ أراك لاحقًا يا صغيرتي.

تراجع عقاقيل إلى الخلف بضع خطوات وقبض بيده اليمنى

على الإسورة التي تلتف حول معصمه الأيسر وقام بفركها عدة مرات وهو يتمتم ببعض الكلمات وما هي إلا ثواني معدودة حتى وجد نفسه يقف أمام أسوار قلعة أجاثكا وقد بدت له ظاهرة أمام مرأى عينيه، تقدم ناحية القلعة وهو يقول:

_ آن الوقت لنيل شرف لقياك أيها المختار!

***

أجدال وهي تنظر حولها في تعجب:

_ أين اختفى أبي؟

_ لقد ذهب إلى أجاثكا

أجدال باستغراب:

_ لكن كيف هذا؟

_ يبدو أن الإسورة وهبته قدرات لا نعلم عنها شيئًا..

_ ماذا سنفعل الآن؟

_ إلى أن يعود أنتيِ الملكة علينا جميعًا، انتظري قليلًا سأعود.

خرج شاثبر تاركًا إياها واقفة في منتصف قاعة العرش وما هي إلا دقائق معدودة حتى أتى يتبعه مئات الغربان المختلفة في الحجم وآلاف من الكائنات ذات الأعين الحمراء، لوهلة شعرت بالخوف وتراجعت إلى الخلف وهي تنظر إلى ذلك الحشد المهيب بأعين جاحظة، تقدم شاثبر إلى الأمام وأحنى رأسه قائلًا:

_ مولاتي الملكة أجدال .

تنفست الصعداء ورفعت رأسها إلى الأعلى بشموخ، ثم تقدمت بخطى ثابتة وقوية نحو العرش وجلست عليه وهي تشاهد جميع من في الحشد قد أحنوا رؤوسهم بخضوع وإذعان تام!

الفصل الرابع

بنيام

قبل زوال الغروب واستتار أسوار قلعة أجاثكا خلف حجاب الليل، كان هناك قافلة تجارية مكوّنة من أربعة جمال محمّلة بالبضائع المختلفة، يتقدّم القافلة فارس قوي البنية، مُلثّم بوشاح أسود، يعتلي صهوة جواد أبيض ذي حوافر سوداء، يحمل في يده قنديل من الزيت، وفي الخلف كانت تجلس سيدة عجوز داخل هودج تحمله ناقة شهباء، ويتبعها مجموعة مختلفة من الخدم، وقبل بلوغ القلعة بقليل صرخ الفارس رافعًا قبضة يده إلى الأعلى:

_ توقفوا...

توقفت القافلة على الفور وأطلّت السيدة برأسها من داخل الهودج قائلة:

_ أيها الخادم اذهب واعلم من « قلداش « سبب توقفنا.

لم يستغرق الخادم الكثير من الوقت حتى عاد قائلًا:

_ سيدتي، هناك شيء في الأمام ينبغي عليك رؤيته.

ترجلت السيدة من الهودج وسارت إلى الأمام حتى وصلت إلى الفارس قائلة:

_ ماذا هناك يا قلداش؟

لم يجب على السيدة بل اكتفى بالإشارة بيده إلى الجهة الجنوبية، نظرت إلى الجهة التي أشار إليها فلم تستطع رؤية شيئًا،

أمسكت القنديل الذي كان يحمله قلداش، وقامت برفعه عاليًا حتى استطاعت رؤية هيئة شيء ما، سارت إلى الأمام وهي تقبض على القنديل وتحاول الرؤية أكثر، وعندما اتضحت لها هيئته جيدًا، فُطر فؤادها لما رأته!

***

_ مُمدّدًا ثانية فوق فراش لكن هذه المرة داخل غرفة، وقد ضُمّدت جميع جراح صدري، لم يكن هناك أحد بالداخل، حاولت القيام فلم أستطع فلا زالت؛ جراحي حديثة، تحاملت على نفسي حتى تمكنت من القيام وسرت إلى الخارج، كان المنزل خاليًا من أي أحد، مكوّنًا من ثلاث غرف مبنية بالطوب اللبني وفناء فسيح في الأمام، لا أعلم كيف أتيت إلى هنا، وأين ذهب العم غانداف وسانجر، وما الذي حدث مع مادلين، جلست في الخارج أفكر في ما حدث، وبعد قليل من الوقت رأيت سانجر يدلف إلى المنزل قال فور أن رآني:

_ لمَ غادرت الفراش لا تزال جريحًا؟

قلت وقد سررت لرؤيته:

_ اطمئن أصبحت بخير، أين العم غانداف؟

جلس بجواري ثم قال:

_ سيعود عما قريب.

_ ومادلين؟

صمت قليلًا ثم قال بعد أن زفر بضيق:

_تستلقي في إحدى الغرف، إصابتها بليغة جدًا.

حمدت الله كثيرًا فقد كنت أخشى أن تفارق الحياة، قلت وأنا أشدّ عضده:

_ ستصبح بخير، لا تقلق.

هز رأسه إيجابًا بحزن دون أن ينبس ببنت شفة، أردفت قائلًا:

_ هناك أشياء يجب أن أعلم عنها.

_ ستعلم كل شيء عقب عودة العم غانداف.

التفتنا إلى الخلف حينما تناهى إلينا صوت ضجة صادرة من إحدى الغرف، هرول سانجر سريعًا إلى الغرفة، سرت خلفه بضعف شديد لكن لم أدخل بل بقيت أُطالع من الخارج، قال سانجر وهو يُقبّل جبين مادلين:

_ لم أظن يومًا أني سوف أشتاق إليكِ إلى هذا الحد!

ابتسمت مادلين قائلة:

_ اشتقت لك أيضًا يا أخي، كيف أصبح خالد؟

_هو أيضًا بخير.

ثم التفت مردفًا:

_ تفضل يا خالد.

دلفت إلى الداخل على استحياء، كانت مُمدّدة فوق الفراش، يلتفّ حول وجهها وشاح أبيض حتى بدت فيه مثل البدر في سمائه! وتضع فوق جسدها غطاء، قلت وأنا أنظر إلى الأسفل:

_ سررت برؤيتك بخيرًا يا مادلين.

_ أشكرك يا خالد، وأنت كيف غدت جراحك؟

قلت وأنا أنظر إليها:

_ بت أفضل من السابق.

لا أعلم عندما نظرت إليها هذه المرة لم أستطع أن أحيد ببصري بعيدًا عنها؛ وجدت في عينيها دفء مثل ذلك الذي كان ينبعث من عينيّ إيمان! لكن كان بهما شيء ساحر وجميل تلك المقلتين، بهما شيء يأسرك وينتشلك من واقعك من النظرة الأولى ولا تستطيع الفرار منه إلا عقب أن يترك أثرًا في فؤادك!!

ابتسمت ثانية تلك البسمة فبادلتها الابتسام وحينما أغمضت عيناها شعرت كأني بت أسيرًا بداخلهما، أشحت سريعا ببصري قائلًا:

_ خذي قسطًا من الراحة، سوف أتي لرؤيتك لاحقًا...

التفت إلى الخلف وغادرت الغرفة سريعًا.

أمضيت بعض الوقت في غرفتي أنتظر العم غانداف متسائلًا لماذا كان جنود عقاقيل يترقبون ظهوري؟ كما أنهم كانوا عازمين على التخلص مني!! من أكون بالنسبة لهم؟ أؤمن أن ذلك الكتاب قد جاء بي إلى هذا العالم لسبب ما ويجب أن أعلم ما هو، كما أنني بِتّ على يقين بأن العم غانداف يدري جيدًا من أكون وإلا ما خاطر من أجل حمايتي، قمت ذاهبًا إلى الخارج لرؤية العم غانداف حينما سمعت صوت صرير الباب الرئيسي، ظننت أنه هو لكن تفاجأت بسيدة عجوز تضع فوق رأسها وشاح أسود تتطاير منه بعض الخصلات البيضاء مداعبة تجاعيد وجهها الدائري، يقف بجوارها طفل عاري القدمين في الحادية عشر من عمره، يرتدي جلبابًا رديئًا وممزقًا يبلغ أسفل ركبتيه بقليل، هممت أن أسألها عن هويتها قبل أن يخرج سانجر من غرفة مادلين قائلًا:

_ سيدة « أجنن » مرحبًا بك.

_ أهلًا يا سانجر كيف حالك؟ وحال العم غانداف؟ وعزيزتي

مادلين؟

قال سانجر وهو ينظر إلى الطفل:

_بخير، منذ متى وأنت في البلدة؟

ثم ابتسم مردفًا:

_ وهل هذا الطفل ابنك؟

ابتسمت السيدة أجنن حتى رأيت أسنانها التي تحاول جاهدة أن تصمد بعد أن رحل بعضها، قالت وهي تداعب رأس الطفل:

_ أنّى يكون لي بمثله وقد تقدم بي العمر ولم يمسسني بشر قط؟!

قال سانجر وهو يبادلها الابتسام:

_ لا أحد يجرؤ على ذلك، فمن يكون؟

صمتت السيدة قليلًا ثم قالت وقد اعتلى الحزن وجهها:

_ لقد أتيت اليوم وعندما شارفنا على بلوغ القلعة أمر قلداش

بالتوقف، وأبلغني أن هناك شيء يجب علَي رؤيته، سرت إليه ودون أن يتفوّه بحرف أشار بيده إلى الجنوب، حاولت أن أرى شيئًا فلم أستطع، عندها أخذت قنديل الزيت وسرت إلى الأمام لأقف؛ وقد فُطر فؤادي حينما رأيت هذا الطفل يجلس على الأرض، يحتضن قدميه، ويرتجف من شدة البرد، لذا قررت أن آخذه في الصباح إليكم حتى يمكث في دار الأطفال التي تُديرها مادلين.

_ جيد ما صنعت يا سيدة أجنن.

ثم التفت مخاطبًا الطفل:

_ ما اسمك أيها الصغير؟

السيدة أجنن:

_ لا تحاول فقد حاولت معرفة هذا مسبقًا لكنه لم يتفوّه قط بكلمة واحدة فربما لا يستطيع التكلّم.

أردفت وهي تنظر إلَي:

_ من هذا الضيف فلم أره مسبقًا؟ تبدو ملامحه غريبة لم أرَ مثلها من قبل!

ارتبك سانجر قليلًا ثم قال:

_ هذا خالد ابن أحد أصدقاء العم غانداف جاء من أجل العمل.

_ تشرفت بلقائك يا خالد.

ابتسمت لها، وأومأت برأسي دون أن أتحدث.

التفت إلى الخلف حينما سمعت مادلين تقول:

_ العمة أجنن.

تقدمت مادلين بخطى واهنة حتى اقتربت من السيدة أجنن ثم قامت كُلًّا منهما باحتضان الأخرى قالت السيدة أجنن:

_ اشتقت لك يا مادلين.

_ ليس بقدر شوقي يا عمة.

انتبهت السيدة أجنن إلى الرباط الذي يُضمّد جرح مادلين فقالت بقلق:

_ ما الذي حدث؟ كيف أُصبت بهذا الجرح؟

_ لا تقلقي يا عمة، ليس إلا جرح سطحي أصبت به أثناء التمرين.

التفتت السيدة إلَي قائلة:

_ وأنت يا خالد هل أصبت أثناء التمرين أيضًا؟

أردت أن أُجيبها مختلقًا كذبة ما لكني توقفت عندما رأيت الطفل يركض نحو مادلين ويتشبث بردائها بغرابة شديدة!

قالت السيدة أجنن وهي تلتفت إليه بعد أن نظرت إلي بريبة:

_ هل أحببت مادلين؟

نظر الطفل إلى السيدة وهز رأسه إيجابًا، ثم أضافت السيدة:

_ هل ترغب بالبقاء معها؟

تشبّث الطفل أكثر بمادلين، وابتسم وهو يهُزّ رأسه إيجابًا.

_ اعتني به يا مادلين فإنه لا يتحدث، وجدته وحيدًا أمام أسوار أجاثكا ولولا أني كثيرة الترحال لما فارقته.

قالت مادلين وهي تجثو على ركبتَيها وتداعب وجنتَيّ الطفل برفق:

_ لا تقلقي يا عمة لن يفارق أحدنا الآخر أليس كذلك يا «بنيام »؟

قالت وهي تبتسم:

_ بنيام، يا له من اسم جميل!

ثم أردفت بحزن:

_ أراك لاحقًا يا بنيام.

هرول الطفل إليها وقام باحتضان ساقها ثم عاد متشبّثًا مرة أخرى بمادلين!

قالت وهي تعيد النظر إلى الطفل:

_ أبلغ سلامي للعم غانداف يا سانجر.

ثم غادرت المنزل، قالت مادلين وهي تقبض على يد الطفل:

_ هل أنت جائع يا بنيام؟

هز بنيام رأسه بسرور، فما كان منها إلا أن أخذته إلى الداخل، وأنا أنظر إليهما مستغربًا من طريقة تعلق بنيام بمادلين وكيف تعلقت به هي الأخرى حتى تناست جروحها! وقبل أن يدلفا إلى الداخل التفت بنيام ونظر إلَي مبتسمًا !

***

_ عندما جاء العم غانداف كان الليل قد أوشك على الحلول، اجتمعنا في الخارج عقب أن اطمئن علينا وعلم بشأن الطفل، فقلت:

_ أريد أن أعلم لمَ جنود عقاقيل أرادوا قتلي؟ لقد بدوا وكأنهم على علمًا بي و ينتظرون قدومي!! لماذا؟

_ تنهّد العم غانداف ثم قال:

_ إنها قصة طويلة يا بني، ولقد عزمت على ألا أخبرك عنها أو عن أي شيء يتعلق بك إلا بعد أن تغدو مهيَّأ لما سوف تلقاه...

_ كان لدي شك بذالك منذ البداية، كيف تتوقع مني أن أساعدك وانت تكتم الأمر ولا تريد إعلامي بأي شيء؟!

_ نحن بصدد حرب كبرى ولك دور مهم وحاسم فيها؛ لذا يجب عليك أن تتعلم كل شيء أولًا وإلا ستصبح مثل من يذهب بأرجله إلى الموت، إن كنت قد استعدت عافيتك سيبدأ سانجر من الغد بتدريبك حول المبارزة، ومادلين ستُعلّمك كيفية الرماية حتي تغدو مهيأ وعندها سوف أخبرك..

قلت وأنا أنظر إلى مادلين وبنيام الذي يلتصق بها:

_ بِتُّ جاهزًا.

_أمضيت الأيام التالية أتدرب مع سانجر علي المبارزة، وعقب أن تماثلت مادلين للشفاء شرعنا في تعلم الرماية، وفي كل يوم يمضي كانت مادلين تتعلق بالطفل أكثر من الأول، وعندما أخبرها العم غانداف بأن تأخذه إلى الدار حتى يصبح بين الأطفال الآخرين رفضت ذلك بشدة، وما أثار استغرابي أكثر هو أنه لا يكف عن مراقبة كل ما أقوم به!!!، حقّقت تقدّمًا كبيرًا في استعمال السيف، حتى أن سانجر تفاجأ من سرعة تعلّمي، قال لي ذات مرة أثناء التدريب:

_ لا يمكن أن تكون هذه المرة الأولى لك في استعمال السيف.

_ كنت أتعلّم عليه من وقت لآخر

_وذات ليلة اجتمعنا ثانية، فقال العم غانداف:

_ سأروي لكم اليوم قصّة.

قلت في حماس:

_ هل تتعلق بما نحن بصدده؟

قال مبتسمًا:

_ اصبر ولا تكن عجولًا.

ثم أردف:

_ذات ليلة وبعد أن بلغنا نبأ عقاقيل بشأن هجومه على الممالك

الأخرى وعزمه على شنّ هجوم قريب علينا، في منتصف الليل تمامًا، استيقظ أهل « أجاثكا» على غضب شديد من السماء، كانت ليلة لم نرَ مثلها من قبل، ظلّت الأمطار تهطل فيها بغزارة شديدة حتى استحال عبور الطرق، لم يكف الرعد عن

ضرب السماء بقوة لتستمر في النحيب وهي لا حول ولا قوة لها، ظلّت تضيء بشدة حتى أوشكت أن تسلب الأنظار! توارى الناس في منازلهم خشية منها، وكأنها تلومنا على الصمت والخوف من عقاقيل؛ فما وقفنا أمام ظلمه وعدوانه على الآخرين بل كنا نشاهد في صمت ولم يجرؤ أحد منّا على التحدث في ذلك، انشقّت صفحة السماء فجأة وهوى على الأرض لوح عظيم يتجاوز عشرة أذرع نُقشت عليه بعض الكلمات! ثم ازداد صوت السماء، وغدت أشدّ غلظة لتنشق ثانية ويهبط بقوة رهيبة سيف يضئ بتوهّج شديد منغرزًا في أعلى اللوح! في اليوم التالي عندما استيقظ الجميع وما أن علمنا بما دُوّن على اللوح حتى أُقيمت الأفراح ودُقّت الطبول ابتهاجًا، فقد كان اللوح يُنذر باقتراب مجئ شخص أُختير من قبل السماء للتخلص من عقاقيل وجنوده! ليس ذلك فحسب بل كوّن هالة حول المملكة تحيل دون عقاقيل إذا ما قرر يومًا الهجوم قبل ظهور المختار، وذلك الحدث عُرف يومها بالنّبوءة، وبلغ صداه عقاقيل، ومنذ ذلك اليوم بات الجميع ينتظر ذاك الشخص الذي سوف يأتي ليُخلّص الجميع من قبضة عقاقيل.

_ استيقظ العم غانداف مفزوعًا عندما سمع صوت شديد يصدر من السماء، هرول إلى باحة المنزل بسرعة ووقف يُطالع ما في الأعلى بأعين شاخصة تفيض فزعًا وهو يشاهد صفحة السماء تضئ بشدة حتى أصبحت أشد بياضًا من اللبن ثم أظلمت! وبعد قليل أضاءت مرة أخرى! تذّكر ليلة حدوث النّبوءة فدلف سريعًا وأيقظ سانجر وطلب منه إيقاظ مادلين وهرول ناحية غرفة خالد

والقلق يتسرب رويدًا رويدًا إلى فؤاده وعندما دلف إليها اشتدّ الخوف والقلق أكثر عندما لم يجده بالداخل!

***

_ لم أستطع النوم بعد منتصف الليل بسبب جميع الأمور التي قد حدثت، ولأني أعلم إن فعلت سأستيقظ في الواقع لذا فضّلت أن أخرج وأتجول قليلًا في الخارج، كانت المباني مصفوفة بنظام تام، ومشيّدة من الطوب اللبني كما أنها لا تتعدى الطابق الواحد، ظللت أسير لبعض الوقت ولم أقابل أي أحد، خلَت الشوارع من الأشخاص ومن الأصوات أيضًا في مشهد يبُثّ الفزع في القلوب! تناهى إلى سمعي صوت قرع أقدام تنبعث من الخلف فالتفت سريعًا لكن لم أرَ أحدًا! تابعت السير حتى رأيت بعد بعض الوقت رجلًا طويلًا القامة، نحيف البدن يرتدي رداءً أسود لا يُبدي أي شيء من جسده، توقف مباشرة أمامي على بُعد بضع خطوات عني، ثم نظر إلَي فتراجعت رهبة منه؛ فقد كان وجهه يغرق في السواد، أشاح بنظره عني ثم دلف سريعًا في إحدى الطرق، لم أعلم من أين أُوتيت الشجاعة حتى ألحق به، كان يعبر من طريق لآخر وأنا أُهرول خلفه حتى وجدت نفسي أقف في منتصف ساحة فارغة، جُلت بنظري بحثًا عنه فلم أجده! التفت إلى اليسار فرأيت لوحًا يتجاوز العشرة أذرع مثبّت في أعلاه سيف يضئ نصله بقوة كلما انعكس عليه ضوء القمر! تقدّمت ناحية اللوح وأنا منبهر من ضخامته إلى أن أصبحت أمامه، تحسّست بيدي تلك النقوش الغريبة التي نُحتت بدقة بالغة عليه، ثم

تجوّلت حوله حتى رأيت سُلمًا شبه متهالك ملتصق باللوح مباشرة ويصل إلى أعلاه جازفت بالصعود إلى الأعلى فوجدت سيفًا يبلغ قامة الرجل ذو نصل براق حاد للغاية، نُقشت عليه بعض الرموز والعبارات، مددت يدي إلى مقبضه وقبل أن أقبض عليه أضاء بخفوت؛ لأتراجع إلى الخلف فزعًا، ثم مددت يدي مرة أخرى تجاهه بعد أن خفت ضوءه وقبضت عليه؛ ليُضيء بشدة حتى أنني صرت أرى المنازل والطرقات من حولي! أغمضت عينيّ بسبب قوة الضوء، ثم قبضت على السيف بقوة أكبر محاولًا سحبه من اللوح، وفجأة أحدث اللوح اهتزازًا قويًا اهتز على أثره السُّلم المجاور له حتى تهالك تمامًا، فسقطت من أعلاه على الأرض بقوة، نظرت وأنا مستلق على الأرض إلى اللوح وإلى السيف الذي يضئ ويخفق، وقبل أن ينطفئ ضوءه ارتعش جسدي خوفًا حينما رأيت الرجل الذي رأيته قبل قليل يقف فوق رأسي وهو يُحدّق بي بأعين تُشعّ لهيبًا، وبوجه أشد قتامة من الليل، أغمضت عينيّ من شدة الرهبة وعندما قمت بفتحهما لم أره! قمت بعجز شديد وضعف أشد وتوجّهت ناحية المنزل كان الصباح قد أوشك، وحينما اقتربت من المنزل رأيت بنيام يدلف المنزل سريعًا! أين كان؟! وماذا يفعل بالخارج في هذا الوقت؟!

***

دلفت سريعًا خلفه لأجد العم غانداف ومادلين وسانجر قد استلّ كل منهم سلاحه، بدَوا لي أنهم كانوا على وشك الخروج من المنزل، لكن لم أجد بنيام بينهم أين ذهب هذا الطفل؟!

العم غانداف بنبرة غضب :

_ أين كنت؟ وماذا تفعل بالخارج في هذا الوقت؟

قلت مُرتبكًا:

_ لم أفعل شيئًا؟ كنت أتجول فحسب...

مادلين:

_ لقد رأينا غضب السماء وما اعتلاها منذ قليل؛ وهذا لا يحدث دون سبب، ولا شك أن جميع من بالمملكة قد رأوا ذلك أيضًا.

قلت وأنا أُحاول التماسك:

_ أي غضب هذا لم أرَ شيئًا!!

نظرت إلَي بحدة، بينما قال العم غانداف في نفسه:

_ لست مستعدًا بعد يا خالد.

قلت وأنا اقترب منه:

_ لم أصبح مستعدًا لماذا؟

قال وقد بدا عليه الارتباك والتعجب:

_ عن ماذا تتحدث لم أحدثك بشيء!!

_ لقد سمعتك الآن وأنت تقول لم يكن عليك فعل هذا يا خالد!

قال العم غانداف بتعجب شديد:

_ لم أقل هذا بل لم أتحدث قط!

نظرت إلَي مادلين ثم قالت:

_ ما بك يا خالد؟ لم أسمع العم غانداف يتحدث بشيء!! هل أنت مريض؟!

قلت بنبرة غاضبة:

_لست مريضًا وأنا على يقين مما سمعت.

_ حسنًا، يا بني اهدأ واذهب إلى الداخل ريثما يعود سانجر وحتى نعلم ما حدث بالخارج فلا شك أن أهل أجاثكا سيطفون في جميع أرجاء القلعة للبحث عن سبب ما حدث.

ذهبت إلى غرفتي وأنا أهمس لنفسي قائلًا:

_ لم أكن أهزأ لقد سمعته بالفعل!قال العم غانداف مخاطبًا سانجر:

_ اذهب واعلم حال الناس بالخارج .

جلس العم غانداف في باحة المنزل عقب ذهاب سانجر وقد تجلّى على وجهه القلق والتعجب مما قد حدث، قالت مادلين:

_ ما بك يا عم غانداف هل أنت بخير؟

قال وهو يُطالع الأرض:

_ بخير.. بخير يابنتي.

عاد سانجر بعد قليل من الوقت وأخبر العم غانداف بأن الأقوال كثيرة في الخارج، بعض الناس يظن أن عقاقيل قد اخترق الهالة وحاول سحب السيف وبعضهم يظن أن الشخص المختار قد ظهر ، قال العم غانداف:

_ لقد حان الوقت لإعلام خالد بهويته!

دلف العم غانداف إلى داخل المنزل سريعًا ثم عاد حاملًا لوحًا مستطيل الشكل، يبلغ نصف ذراع، دُوّنت عليه بعض العبارات والنقوش، قالت مادلين وقد دُهشت حينما رأت اللوح:

_ أهذا هو الجزء الآخر من لوح النبوءة؟!

_نعم، هذا الجزء يذكر بالتفصيل هيئة وملامح الشخص المختار، كما أنه يُنذر بشأن أمر ما!

أمسك سانجر اللوح قائلًا وهو يقرأ العبارات التي دُوّنت بلغة قديمة لا يعلمها إلا أهل « أجاثكا»:

_ جميع التفاصيل هنا تؤكد أن خالد هو الشخص المختار!!

مادلين:

_ أليس من الممكن أن يكون ذلك مجرد تشابه؟ صحيح أن خالد سليم القلب ولا يُكنُّ ضغينة تجاه أحد أويحمل حقدًا، وتلك من أهم الصّفات التي ذُكرت في اللوح، إضافة إلى بيان ملامح وجهه وجسده، لكنني لم أرَ شيئًا مميّزًا فيه!!

_ما حدث منذ قليل من غضب في السماء يدُلّ على أنه هو!

مادلين بتعجب:

_ كيف ذلك؟

_في السابق عندما يحاول شخص ما سحب السيف من اللوح لم يكن يحدث شيء، أما عندما حاول خالد فعل ذلك حدث ما شاهدنا منذ قليل!

سانجر:

_ هل فعل ذلك حقًا؟!

_ أجل

مادلين:

_لماذا أخفى ذلك عنا ولم يُخبرنا عندما سألناه؟

_ لازالت؛ ثقته بنفسه في اضطراب ولأنه لم ينجح في سحب السيف يخشى ألا يكون هو المختار وأن يذهب كل العناء الذي كان من أجله سدًى؛ لذا اختار إخفاء الأمر.

_ سانجر:

_ لكنه فشل في سحب السيف وهذا يعني أنه غير مستعد لذلك!!

_ عندما يعلم بشأن ما في هذا اللوح سيزداد إيمانه بنفسه وبما هو عليه وحينها سينجح في سحب السيف!

مادلين:

_ ومتى ستخبره؟

_الآن، اذهب يا سانجر وأخبره أنني أرغب في التحدث معه.

قالت مادلين عقب أن ذهب سانجر:

_ بماذا يُشير الجزء الأخير من اللوح فلم أفقه منه إلا بضع كلمات؟

العم غانداف بصرامة:

_ هذا أهم جزء في النبوءة وهو تحذير! إن حدث وتهشّم جزء بسيط من هذا اللوح....

وقبل أن يكمل حديثه التفت إلى الخلف سريعًا عندما سمع خالد يقول:

_ هذا هو!!

نظر إليه فأصابه الفزع! كان يُشير إلى الطفل بنيام بحدة شديدة، وأعيُن زرقاء للغاية، وقد تضخّم جسده بالكامل أضعاف ما كان عليه في السابق! قال خالد وهو يسير في إتجاه الطفل بحزم شديد وغضب أشد:

_ عقاقيل!!

الفصل الخامس - كَشْف القناع

ركض شاثبر سريعًا على أطرافه الأربعة نحو أجدال وأخفض رأسه قائلًا:

_ مولاتي، هناك أمر طارئ قد حدث!!

أستمرت في التطلع في المرآة مبتسمة ثم قالت دون اكتراث:

_ تحدّث ولا تُطل، ألا ترى أنني مشغولة؟!

قال منفعلًا فقد سئم من كثرة الوقت الذي تمضيه أمام المرأة دون أن تحفل بإدارة شئون المملكة:

_ بينما أنت هنا تُفرطين في الاعتناء بنفسك والجلوس أمام المرأة تمرّدت علينا ولأوّل مَرة قلعة تخضع لنا برفضهم منح الرسول الجزية للحفاظ على حياتهم، بل وتمادَوا باجتماعهم عليه وقتله!

_عندما أخضع الملك عقاقيل سابقًا القلاع فرَض عليهم جزية تُقدّم كل عام وذلك مقابل عدم التعرض لهم وللإبقاء على حياتهم، لم تُجبه أجدال بل واصلت بلا مبالاة شديدة مطالعة نفسها داخل المرآة وهي تبتسم أكثر!، حرّكت شفتَيها بالحديث لكن دون أن يصدر منهما صوت، وطبَعت قُبلة على المرآة، ثم قامت وأحضرت صندوقًا وبعناية شديدة قامت بوضعها بداخله، وأخيرًا التفتت نحو شاثبر الذي استغرب ممّا قامت به للتو، التفت حوله قائلة:

_ أخبرني كيف أبدو اليوم؟!

ارتبك شاثبر فلم يتوقع سؤالًا كهذا:

_ تبدين جميلة!

قالت بعبوس:

_فقط ؟!

_ بل جميلة جدًا عكس الأيام السابقة...

عقدت حجبيها بغضب شديد :

_ أتقصد أنني لم أكن جميلة سابقًا؟!

قال مُتداركًا الأمر:

_ لا لا لم أقصد ذلك إطلاقًا لكنك اليوم أجمل من السابق...

ابتهجت مثل طفلة صغيرة ثم قالت فجأة بحزم وجِد:

_ الآن سنمنح تلك القلعة درسًا يُصبح عظة وعبرة لِمَن خلفهم !

ابتسم قائلًا:

_ بم تأمرين جلالتك؟

_ ستعلم ذلك الآن.

ثم دنت منه وانحنت حتى أصبحت عيناها أمام عينَيه مباشرة:

_ احذر من بعد الآن في حديثك، وانتقِ أحرفك بدقة فلم أعد تلك الفتاة الصغيرة التي كنت تلهو معها بالأمس!

شاثبر ولأوّل مرة يشعر بالخوف من أجدال:

_ أعتذر يا مولاتي.

قالت وهي تعتدل وتخطو إلى داخل القصر:

_ جيد، انتظر قليلًا ريثما أعود.

بعد قليل عادت وهي ترتدي رداءً أسود يُبدي بعض زينتها من

الأسفل والأعلى، قالت دون أن تَعبَأ بنظرات الاستغراب في عينَيه:

_ هيا اتبعني الآن..

سار خلفها وهو يُحدّث نفسه:

_ هناك شيء بها، لقد تغيَّرت كثيرًا؛ تُصبح مثل طفلة بريئة عندما تجلس أمام المرآة، وبعدما تترُكها تُصبح غليظة القول، شديدة البأس، ولم تكن كذلك مُسبقًا، حقًا لا يمكن فهم النساء أوالتنبُّؤ بأفعالهنّ!

***

_ لم تُفارق أجدال العرش مُطلقًا خلال غياب الملك، جُلَّ ما كانت تقوم به هو قضاء وقتها مُبتسمة أمام المرآة، وعندما خرجت ورأها جميع جنود الملك عقاقيل من فرقة « بني الحُمر « نظروا إليها برعب شديد، وأحنوا رؤوسهم إليها بخضوع وولاء فاق ولاءهم للملك عقاقيل نفسه، ممّا أثار استغراب شاثبر وبقيّة فرقته من» الغربان » فلم يخافوا منها أو ينحنوا مثل باقي الجنود..

قالت بغضب شديد وصوت به زمجرة خفيفة تبُثّ الرعب في جميع مَن حولها:

_ لقد تجرّأت إحدى القلاع الخاضعة إلينا برفضهم تقديم الجزية بل وقد بلغَت الجرأة بهم إلى قتل الرسول، ظنّوا أن غياب الملك عقاقيل سوف يخلق فينا وهنًا كلا ولن يحدث هذا أبدًا! اليوم سنجعل منهم عبرة للجميع حتى لا تُسوّل لأحدهم نفسه ذات يوم بفعل ذلك!

رفع جميع جنود عقاقيل رؤوسهم وهتفوا بقوة بأقوال مختلفة وهُم يضربون بشدة على صدورهم؛ تعبيرًا منهم برغبتهم في الانتقام وسفك الدماء!

رفعت يدها إلى الأعلى ثم قبضت كفّها فصمت الجميع في لحظة واحدة، ثم أشارت إلى خمسة فقط من فرقة « بني الحُمر» ولم تختَر أي أحد من فرقة « الغربان «، وكان هذا سببًا لإثارة حفيظتم وغضبهم لكن لم يكن ليجرؤ أحد منهم على الهمس ولو بحرف واحد..

ثم التفتت مُبتسمة إلى شاثبر الذي كان يُشاهد بجوارها ما يحدث باستغراب شديد قائلة:

_ لنذهب الآن.

بعدها أشارت إلى الجنود الخمس من فرقة» بني الحُمر» بالاقتراب وقامت بتكوين دائرة قابضة على يد شاثبر الذي وقف على قدمَيه الخلفيتَين، تشابكتْ أيدي الجنود معهما حتى اكتملت الحلقة، ثم أشارت أجدال إلى شاثبر بأن يذهب بهم إلى المملكة المتمرّدة، وعقب أن أغمض الجميع أعيُنهم قام شاثبر بترديد بعض العبارات الغير مفهومة والتي لم تكن إلا طلاسم انتقال تعلّمها سابقًا من الجن، وبعد أن أكمل ترديدها قاموا بفتح أعيُنهم، فوجدوا أنفسهم لا يزالون قابعين في أماكنهم، نظرت إليه أجدال فقال سريعًا:

_ لا أعلم لِمَ لمْ ننتقل؟ فهذا لم يحدث من قبل، سأُعاود الكَرّة بدأ شاثبر بترديد طلاسم الانتقال مجددًا، ولكن هذة المرة انتابه شعور بطاقة غريبة تفُوق طاقته بكثير! فتح عينَيه قائلًا بدهشة وهو ينظر مُتفحصًا الجنود الخمس ليعلم مَن منهم

مصدر تلك الطاقة:

_ هناك مَن يملك منّا طاقة كبيرة ولا يمكن أن تنجح طلاسم الانتقال إلا إذا قام هو بترديدها.

قالت أجدال وهي تنظر إليه مُبتسمة:

_ لا بأس، حاول مرة أخرى ستنجح.

قام شاثبر بتنفيذ أمرها وبدأ بترديد الطلاسم بالرغم من تَيقُّنه من عدم نجاحه، وقبل أن ينتهي من ترديدها شعر بيد تهُزّ جسده، ففتح عينَيه وصُدم بشدة حينما رأى نفسه والملكة «أجدال» والجنود الخمس أمام أسوار المملكة! سأل شاثبر و هو غير مصدق لِما حدث:

_ كيف انتقلنا إلى هنا؟ لم أكن قد انتهيت من ترديد الطلاسم!

أجابت وهي تُمسّد فراء رأسه بلطف:

_ لا تفكر في الأمر كثيرًا، ما يُهمّ الآن أننا بلغنا وجهتنا.

ثم أردفت محدّثة الجميع:

_ هيا لِنُنهِ الأمر سريعًا أريد العودة إلى مِرآتي.

سارت ومَن معها نحو أسوار القلعة حتى أصبحوا أمام بَوّابَتها مباشرة، وعندما رأتها الجنود فُتنوا بشدة جمالها، وألقوا أسلحتهم أرضاً، ثم أحنوا رؤوسهم دون أن تأخذهم ذرة خوف بمَن خلفها فقد طغى سِحر الجمال على شدة الخوف! قال شاثبر هامسًا وهو يسير على أطرافه الأربعة، ويُشاهد ذلك مُبتسمًا:

_ حقًا إن من الجمال لَسِحرا!

تابعت أجدال سَيْرها نحو قصر الحاكم، وفي الطريق كان كل مَن يراها تقع في فؤاده الفتنة بجمالها ودون أن يشعر يخضع

مُنحنيًا إليها، حتى وصلت إلى داخل القصر، وبعد قليل من الوقت خرج شاب قوي البنية، ورجل عجوز يسير خلفه هو ومجموعة من الجنود يبلغ عددهم مائة جندي، عندما رآها الشاب انبهر من جمالها لكنه سرعان ما أغمض عينَيه بكفَّيْه؛ فقد أدرك أن جمالها فتنة

للأفئدة! وإن ضلّت الأفئدة زاغت الأبصار وصُفدَت الأنفس بسلاسل من الرغبة والولاء!

سألها قائلًا:

_ مَن أنت وما الذي أتى بك إلينا؟

لم تخرج أجدال قبل ذلك سابقًا؛ فقد كان الملك عقاقيل يخشى أن يكون جمالها سببًا في إلحاق الأذى بها؛ لذلك لم يعلم أحد كيف تبدو يومًا!

اقتربت منه وقالت بدلال شديد وهي تضع يدها على صدره وتحرك أطراف أصابعها عليه ببطئ:

_ ما بك قد أغمضت عينَيك عني وعزمت على ألا تراني؟ هل مسّك جمالي بضُر أم أصابتْ عيناي فؤادك بقبس عشق؟!

ثم وضعت يدَيها فوق كفَّيْه وأخذَت تكشف عينَيه ببطء وأردفت:

_ لا تتولَّ يومًا عني، أو تُعرض عن الإقبال إلَي، فلا يُضَرُّ حبيب بجواري، أزح ستار الغشية عن فؤادك تُبصر حُبًا تنبتُ به الزهور!

فتح الشاب بعجز شديد عينَيه وما أن رأى عينَيها حتى فُتن بهما وخرّ راكعًا! رفعت أجدال يدها إلى الأعلى ثم قامت بقبض كفّها، لينقضّ جنودها بوحشية شديدة على جميع مَن بالقصر

وبعد بضع دقائق لم يُصبح في القصر إلا رجل عجوز، وامرأة تحتضن طفلة تبلغ العاشرة من عمرها بخوف شديد..

شاثبر:

_ مولاتي، هذه هي أسرة الحاكم.

نظرت إليهم ثم التفتت إلى الشاب قائلة:

_ هل تعرف مَن هؤلاء؟

قال بخضوع تام وهو ينظر إليهم:

_ نعم، هم أهلي وما أملك.

_لقد امتنَعْتم عن تقديم الجزية بل وأجمعتم على قتل الرسول

والآن قد حان دفع الثمن.

أشارت أجدال إلى أحد الجنود بأن يقبض على الشاب ويُجبره على الوقوف، ثم قالت وهي تُشير إلى العجوز:

_ مَن هذا؟

قال الشاب بتردد وخوف :

_ والدي.

أشارت إلى جندي أخر وفي ثانية تطايرت رأس العجوز وسقطت أسفل قدم الشاب الذي صرخ بقوة، وبحزن شديد قائلًا:

_ سوف أجعلك تندمين على هذا أنت ومَن معك.

نظرت إليه أجدال بأعيُن باردة ثم قالت دون اكتراث لصراخه:

_ ومَن تلك المرأة الجميلة؟

الشاب بحزن أشد:

_ أرجوكِ توَقّفي، سوف أفعل ما تشائين؟!

_ حسنًا، لقد فهمت إنها زوجتك..

ثم أردفت وهي تقترب منه:

_ أتعلم ما هو أشدّ ما أكرهه؟

لم يُجب بل استمرّ يبكي بحرقة، لتسترسل هي حديثها قائلة:

_ أن يُقاسمني أحد في ما أُحب، أنتَ لي فقط!

ثم أشارت ثانية إلى أحد الجنود؛ ليقترب من الزوجة التي لا زالت؛ تحتضن صغيرتها بهلع وتنظر إلى زوجها، وبعد ثانية كانت رأسها تتدحرج فوق الأرض!

صرخ بحرقة شديدة:

_ سوف تدفعين ثمن هذا أُقسم لك!

_لا أحد يستطيع أن يُحاسبني، ولا يوجد ثمن لا يُمكن دفعه!

ثم التفتت نحو الفتاة الصغيرة التي تحتضن جثة والدتها بخوف شديد، فصرخ قائلًا بتَوسُّل:

_ أرجوك اعفِ عنها، لا تفعليها أرجوك، خُذي روحي أنا لكن لا تقتُليها!

_وماذا تريد أيضًا.

_ مَن أنت ولِم تفعلين هذا؟

أشارت إلى الجندي الذي يقبض عليه بالابتعاد، ثم تقدّمت منه وقبضت عليه من الخلف بشدة وقالت:

_ أنا أجدال بنة عقاقيل فتنة الأرض وبدرها وضي السماء ولهيب شمسها.!!

ثم أردفت مُنشدة:

_ ما طغى حبك في الفؤاد وإنما عشقتُ فيك عينَيك، فلمّا

امتنعتَ عني حينها أُصبتُ بسهام مُقلتَيك، فمُرّ على فؤادي وأنعِش وُروده أوانزِع منه هواك!

ثم غرزت يدَيها في صدره بقوة وأردفت:

_ ذهبتُ يومًا إلى الطبيب، وقلتُ له أنّ فؤادي به قَرحٌ قد مسّه!

فقال يا ابنتي لا يذهب قَرحُك إلا نزعه!

وعقب ذلك انتشلت فؤاده من داخل صدره ورَمت به خارجًا!!

نظرت إلى شاثبر عقب ذلك قائلة :

_ احشد لي أهل هذه المملكة.

_ وماذا عن الفتاة؟

وجهت بصرها إليها كانت لا تزال تحتضن جسد والدتها التي فصل رأسها، وهي تنظر إلى قلب أبيها المُلقى أرضًا، وتبكي بشدة:

_اتركها، لا فائدة من قتلها.

خرجت لرؤية أهل القلعة بعد أن اجتمعوا خارج القصر ولم يعلموا بما حدث في الداخل، قالت بعد أن قامت بتعيين حاكم جديد لهم:

_ تركت لكم داخل القصر عِبرة؛ حتى إن أراد أحدكم يومًا أن يمتنع عن تقديم الجزية كانت له عظة فيتراجع!

ثم اجتمعت وقامت بتكوين حلقة دائرية مع جنودها وهذه المرة قامت هي بترديد طلاسم الانتقال، و شاثبر يُراقبها مُتسائلًا:

_ من أين لها بهذه القوة؟!

دلف الناس سريعًا وفزعوا عندما رأوا الدماء تجري مثل الماء داخل القصر، وأشفقوا على الفتاة التي قامت والتقطت

فؤاد أبيها ورأس والدتها، ثم جلست بجوار جسد والدتها وهي تُردّد بحزن وغضب:

_ أجدال بنة عقاقيل.

عندما عادت أجدال وجنودها إلى المملكة وفَور أن دلفت هي و شاثبر إلى القصر وجدوا بنيام يجلس فوق العرش، ويحمل لوحًا بين يدَيه، وينظر إليهم مُبتسمًا!

***

_ عقاقيل!!!

مادلين باستغراب:

_ ماذا تقصد يا خالد؟

قال وهو يتقدّم ناحية بنيام الذي كان يتراجع إلى الخلف:

_ إنه عقاقيل! لقد خدعنا بمجيئه مُتشكلًا في هيئة طفل صغير!

العم غانداف بتعجب:

_ لا يمكن أن يفعل هذا!

استشاط خالد غضبًا حتى ازرقت عيناه، وتضخّم جسده إلى أن أصبح ضعف ما كان عليه سابقًا! وجميع مَن حوله ينظرون إليه بتعجب شديد ممّا بات عليه، تقدّم أكثر ناحية بنيام:

_ ألا تصدّقونني؟ سأُثبت لكم ذلك.

اقترب سانجر بسرعة من خالد في محاولة منه لتهدئته، فما كان من منه إلا أن وكزه بذراعه فألقى به تجاه الحائط بقوة! فزع العم غانداف ممّا حدث، ومن القوة التي اكتسبها خالد فجأة، دون

أن يعلم مصدرها، لكنه لم يحاول فعل شيء؛ لأنه عَلِم أن خالد الآن لا يدري ماذا يفعل فقد سَيطرت عليه هذه القوة الغريبة حتى سلبت منه عقله فبات مُغيبًا!

نظر بنيام إلى خالد الذي يقف ثائرًا مثل بركان من الغضب، قال هامسًا وهو يبتسم بإعجاب:

_ لم أعلم أنك تمتلك قدرة مثل هذه أيها الغريب، يبدو أنني لم أُحسِن تقديرك، سوف نمرح كثيرًا!

_ هل حُلّت عقدة لسانك الآن، لن تتمكن من خداع أحد بعد اليوم.

ثم همّ بتَوجيه ضربة إليه لكنه أسرع واختبأ خلف مادلين وأخذ يجذب ملابسها بخوف، وضعت مادلين سهمًا في القوس ووجّهته ناحية خالد قائلة:

_ يكفي هذا، إياك أن تقترب منه ثانية وإلا كانت العواقب وخيمة!

لم يُبالي بتهديد مادلين فاقترب أكثر في نيّة منه لإمساك عقاقيل شدّت مادلين على القوس وهي تنظر إليه بحدّة قائلة:

_ أُحذّرك لا تحاول الاقتراب.

قال العم غانداف مُحالًا إدراك الوضع قبل أن يُصبح أسوأ:

_ تريَّث يا خالد، ولنتحدث حول الأمر.

قال وهو يقترب بغضب:

_ لا فائدة من الحديث، مَن تُحاول حمايته هو العدو الذي كنت تتجنّب مواجهته!

مادلين بأعيُن مُحتقنة بالدموع وهي تشد القوس:

_ سامحني على ذلك لكنك لم تترُك لي خيارًا آخر.

ثم أطلقت السهم ليصيب خالد مباشرة في كتفه الأيمن، توجّع وسقط أرضًا والدماء تسيل من كتفه، أسرع إليه العم غانداف وقطع قطعة من ملابسه؛ ليُحاول بها إيقاف تدفُّق الدماء وهو يقول:

_ لماذا فعلت هذا يا مادلين؟ لماذا يا بنتي؟

مادلين وهي تبكي:

_ أعتذر على هذا، حقًا لم أُرد فعله!!

دفع بنيام مادلين أرضًا، ثم أسرع وأخذ اللوح الثاني وهرول بعيدًا، وقبل أن يُغادر استدار إلى الخلف وأخرج الإسورة الحمراء من بين ملابسه وقام بوضعها حول معصمه فتكوّنت حوله هالة سوداء ووقف أمامهم بهَيْئته الحقيقة رجُلًا برداء ووجه أسود وأعيُن تشتعل لهيبًا!

نظرت إليه مادلين غير مُصدّقة، قالت وهي تذرف الدموع:

_ كنت تُخفي حقيقتك، وقد خُدعت بك مثل الحمقاء بل وأحببتك ووقفت أدافع وأذود عنك من الأقربين إلى فؤادي!

ضحك قائلًا :

_ هذه نقطة ضعفكم؛ تثقون بسرعة وبغباء بالآخرين دون أن تدروا عنهم شيئًا بل وتقفون ضد الجميع من أجلهم! ليكُن هذا درسًا لك لا تثقي أبدًا بأحد، وإن فعلت ارتقبي ذلك اليوم الذي يغدر فيه بك!

مسح عقاقيل على الإسورة عقب ذلك فتلاشى من أمامهم في غمضة عين!

قال العم غانداف بخوف:

_ سوف يُحطِّم اللوح حتى تزول الهالة، ويأتي بجميع جنوده، وعندها لن نقدر على مُجابهتهم!

***

قودنا أحصنتنا نحو أجاثكا فور أن بلغنا النبأ، وأثناء سيرنا مررنا بغابَة تُحيط بها الأشجار من كل حدب، كان عوف يركض خلفنا، أما العم غانداف ظل يحث حصانه جاهدًا على الإسراع وقد بدأ عليه القلق والخوف الشديد، وكان قلقي أنني لم أغدو مُهيَّأ بعد، ماذا لو أخفقت؟ ماذا سيحدث حينها؟ هل سيدعمنا الملك زافار ولمَ قرر أن يعفو عن العم غانداف؟ بعد أن قعد عن الحرب ومكث في بابكا أيعقل أن يكون العم غانداف، صهل حصاني بقوة فاجأة رافعًا قدماه الأمامية للأعلى عندما سقط جذع شجرة أمامنا ليحول دون إكمال الطريق، ترجل العم غانداف من فوق حصانه ونظر مُتفحصًا الأرجاء ثم نظر للجذع قائلًا بقلق:

_ هناك من أسقط هذا الجذع أمامنا.

زمجر عوف فاصحًا عن أنيابه عندما تحدث أحدهم من بين ا

لأشجار قائلًا:

_ حان الوقت يا غانداف.

دققتُ النظر جيدًا وأصابني الهلع عندما رأيت مخلوقين بشعين سود الوجوه والبدن ذو أعين حمراء، تناهى إلى مسامعنا صوت ضحك يأتي من الشمال فالتفتنا؛ لنرى ثلاثة أخرين، وأدركت أن هذه النهاية عندما سمعت صوت زئيرًا شديدًا لأرى ثلاثة

من فرقة» الغربان « تُحلق فوقنا مباشرة منتظرة فرصة مناسبة للأنقضاض علينا، ترجلت من فوق حصاني ووقفت بجانب العم غانداف قابضًا على السيف الذي بحوذتي بخوفًا:

_ ماذا سوف نفعل الآن.

قال وهو ينظر إليهم بتحدى شديد:

_ لا ينقطع اليقين ما دام بالصدر أنفاسًا، ثق بنفسك يا خالد وأعلم أن الهزيمة لا تأتي إلا إذا شككت بقدرتك، والآن سنفعل ما خلقنا من أجله.

ثم رفع عصاه عاليًا وضرب الأرض بقوة شديدة ليصدر عوف عواء شديدًا للغاية ثم توالت أصوات العواء.

***

« قبل ذلك بثلاثة أيام »

_ سوف يُحطِّم اللوح حتى تزول الهالة ويأتي بجميع جنوده وعندها لن نقدر على مُجابهتهم!

خالد وهو يستند على غانداف للوقوف:

_ كيف يوجد جزء آخر من اللوح؟ وما الشيء المميز بهذا الجزء؟

_ سأُخبرك بهذا لكن أولًا يجب إعلام الحاكم هيردوس بما حدث.

كان سانجر لا يزال طريحًا على الأرض؛ فقد اصطدم بالجدار بقوة عندما دفعه خالد، اقتربت منه مادلين وساعدته على النهوض قائلة:

_ أعتذر إليكم جميعًا، لولا أنني لم أُدافع عنه لما حدث كل ذلك.

العم غانداف:

_ لا وقت الآن للتحسّر على ما مضى، لقد أخطأنا جميعًا ويجب أن نُصحّح هذا الخطأ وإلا دفع أهل القلعة الثمن.

ثم أردف وهو ينظر إلى سانجر الذي بدا عليه الإعياء:

_ خذي سانجر الآن يا مادلين حتى يستريح وغدًا سنبدأ في الاستعداد للحرب.

_ أخشى أن خالد ليس مستعدًا الآن.

_ بسبب ما حدث سنُجبَر على خوض الحرب وإن لم نكُن أهلًا لها!

ثم التفت إلى سانجر قائلًا:

_ عند الصبح اذهب إلى الحاكم هيردوس مباشرة وقُصَّ عليه كل ما حدث وأخبره أن الوقت قد حان!

استغرب سانجر فقال متعجبًا:

_ الحاكم ؟! وهل يعلم بشأن خالد والجزء الأخير من اللوح؟

العم غانداف:

_ كل خطوة منذ البداية لم تحدث إلا بعلمه! ونحن الأربعة لن نأخذ إلا بضع دقائق حتى بين أصابع جنود عقاقيل إن اجتمعوا علينا؛ لذا سوف نحشد جيشًا لم يُرَ مثله من قبل!

ثم قال وهو يدلف إلى الداخل بصُحبة خالد الذي يحاول إيقاف تدفّق الدماء بحرقة:

_ إما الفوز أو الموت بكرامة!

خالد وهو يبتسم بوهن:

_ هل أدركت ذلك الآن فقط.

***

سار العم غانداف مع خالد إلى غرفته، وأجلسه فوق الفراش، وقام بنزع ملابسه، وأحضر بضعة أشياء لتقطيب الجرح:

_ أخبرني الآن سر ذلك الجزء من اللوح.

قال بينما يضع قطعة من القماش في إناء من الماء:

_ هذا الجزء من اللوح هو الأهم والأخطر شأنًا.

_ كيف ذلك؟

أجاب وهو يضع الخيط في سَم الخياط بعد أن قام بتنظيف الجرح:

_ بعد أن سكنت السماء وهدأت خرجت متّكًأ على عصاي؛ لأرى ما تلفّظَتْ به، كانت الطرقات خاوية فلم يكن ليجرؤ أحد على الخروج في ذلك الوقت، أما أنا فقد دفعني فضولي لمعرفة ما حدث، وعندما أصبحت في ساحة المملكة جحظت عيناي عندما رأيت لوحًا يتوسّط السّاحة بارتفاع شاهق، ومُثبّت في أعلاه سيف ينبعث منه وميض أبيض، اقتربت من اللوح فوجدت عليه نقوشًا وعبارات لِلُغة قديمة جدًا قليل مَن هم على عِلم بها، عندما علمت ما دُوّن على اللوح سُررت كثيرًا لكن ذلك السرور تبدّد سريعًا وحلّ محله القلق والخوف؛ عندما هاجت السماء ثانيةً وأصبحت تُصدر أصواتًا غليظة جدًا ومخيفة وكأنها تلومُني على الاقتراب من اللوح، ثم انشقّت صفحتها وهوى على الأرض على بُعد أقدام مني لوح آخر، ثم هدأت مرة أخرى! بعد دقائق من الخوف والقلق

سِرت ناحية ذلك اللوح كان لا يتجاوز الذراع كما أنه كان خفيف الوزن، رفعته من فوق الأرض، وقرأت ما به من عبارات وعندها هرولت به مُتّجهًا صَوب قصر الحاكم وأخبرته بمعنى تلك النقوش التي على اللوح المُثبّت في السّاحة والتي على اللوح الثاني، عندها طلب مني أن أُخبّأ الجزء الأخير من اللوح الثاني وألا أُخبر به أحد؛ وذلك لأهمية وخطورة ما دُوّن عليه، ثم في اليوم التالي خرج وأخبر أهل المملكة بمضمون اللوح المُثبّت دون أن يذكر شيئًا عن الجزء الأخير من اللوح الثاني لتُدقّ الطبول فرحًا وأقيم احتفال، ازداد الأمر بهجة عندما صدَر يومًا من اللوح المثبّت هالة أحاطت بالقلعة، ولم تنقشع عنها إلا ساعة قبل الغروب، انتشر الخبر سريعًا حتى بلغ آذان عقاقيل، وحينها صار يترصّد بكل مَن يأتي إلى القلعة ويُسلّط عليه جنوده ولولا أن أدركناك لكنت ميتًا الآن!

سألت في شوقٍ :

_ وما ذلك الأمر الخطير الذي يُمكن أن يحويه ذلك الجزء الأخير؟

_ في أسفل اللوح ذُكر تحذير هام للغاية!

_ أي تحذير؟

_ إن حدث وتهشّم ولو جزء بسيط من اللوح عندها سوف تنقشع الهالة عن المملكة إلى الأبد!!

_ لهذا السبب أخذ عقاقيل اللوح الثاني؟

العم غانداف بأسى:

_ نعم، حتى يتمكّن من دخول المملكة بكامل جيشه.

_ لكن لم يكن ليعلم به لولا أن استرق السمع، فلماذا جاء من البداية؟

_ من أجلك!

استغربت لما قد يأتي من أجلي:

_ ماذا؟ ولمَ يفعل ذلك؟

_ لأنك الشخص المُختار والذي قد تنبّئت النبوءة به!

قلت ضاحكًا :

_ مَن؟ أنا! أتعلم أني حاولت سحب السيف فلم أقدر على ذلك؟

العم غانداف مُبتسمًا وهو يقطع الخيط بعد أن أنهى تضميد جرح:

_ أعلم، لكن السيف قد منحك بعض القدرات!

_ أي قدرات هذه؟

_ ألا تذكُر كيف تمكّنت من كشف حقيقة عقاقيل على الرغم من تنكّره ودفعُك سانجر بقوة وقبل ذلك كيف استمعت لما يدور بداخلي عندما قلتُ (لست مستعدًا بعد يا خالد)؟!

وقفت مذهولًا، لم أدرك أو الأحظ كل هذه الأشياء أو ألقي لها بالًا، فقد ظننت أني تمكّنت من كشف حقيقة عقاقيل لأني منذ البداية أستأنس أو أطمئن له، أما دفعي لسانجر فقد كان مجرد صدفة، قلتُ غير مُصدّقًا:

_ لا لا، لابَد أنك على خطأ! لست أنا ذلك الشخص الذي تنتظر قدومه أنت مخطئ لا ريب!

_ أتعلم ما ذُكر في الجزء الأخير من اللوح الثاني أيضًا غير التحذير؟!

_ ماذا؟

_ أنت يا خالد!

الفصل السادس

الاستعداد

_ لقد ذكر اللوح صفاتك وملامحك وكل شيء يخصّك؛ حتى إذا ظهرت يومًا وقفنا بجانبك، وأرشدناك لما يجب عليك القيام به، لقد خُصّصت لسبب ما!! نحن لا نعلم ماهو، لكني أثق أنك تمتلك شيئًا لا يوجد في أحد منّا، شيء بداخلك، في قلبك، ربما تعجز عن إدراك ذلك الآن لكن مع الوقت سوف تدركه، أعلم أنه قد فُرض عليك التّعايُش مع هذه الأحداث دون إرادة منك، وقد حُمّلت ما تضيق به نفسك، ومع ذلك لست مُجبرًا على شيء، ولست مُجبرًا على خوض هذه الحرب، يُمكنك أن تتوارى عن الأنظار إن شئت، لكن ما سوف يحدث هنا سوف يدوّنه الكِتاب؛ لتقرأه يومًا ما وعندها سوف تندم؛ لأنه كان لديك الخيار، وكانت لديك المقدرة على تغيير الأمور، كيف ستواجه نفسك عندما تعود إلى عالمك؟ كيف وقد كنت تستطيع الزَّوْد عن الآخرين؟

_ كنت تعلم أنني لست من هذا العالم منذُ البداية ومع ذلك وقفت بجانبي، علمت أنني سوف أجد بعض الإجابات حول ما حدث معك إن رافقتك، ولكن لم يخطر على بالي قط أنك تعلم كل شيء عني، ذلك يعني أنك « يعقوب المدني « الذي وهب لي المكتبة! كيف ذلك؟ قد رأيتُك في عالمي بهيئة والآن بهيئة أخرى! ولِمَ لَم تُخبرني عندما قابلتك في الصحراء حول ما ينتظرني وأخفيت عني أنك يعقوب المدني؟ وفي المكتبة لم تخبرني شيئًا

حول تلك الكتب الفارغة، كنت تستطيع إخباري قبل أن تُقحمني عنوة في هذا العالم...

قال مقاطعًا:

_ وعندها ماذا كنت سوف تفعل؟

ألجمني سؤاله بالصمت! ماذا كنت سوف أفعل لو خُيّرت منذُ البداية؟ أردف وهو يُولّي ظهره مُنصرفًا:

_ كنت سوف تُفضّل الهروب على المواجهة مثلما تفعل عادة، أتريد الشفاء ممّا أنت فيه؟ إذًا تعلّم كيف تُواجه ما تخشى منه! لن أُجبرك على خَوض الحرب؛ فما هي إلا أيام وتنقضي، لكن ما سيحدث هنا سوف يتناقله أجيال في عالمك وحينها لن يُفيدك الندم، أنتظر قرارك في الصباح.

_أشعر بالإعياء؛ فقد أمضيت ما يُقارب ثلاثة أيام هنا، هذا يعني أنني استغرقت ربَّما يومَين أو يومًا ونصف وأنا نائم، من المؤكّد أنّ خالي أحمد قلق للغاية الآن، لم أشعر خلال تلك المدة التي مكثت فيها في هذا العالم بالجوع أو بالعطش أو بأي شيء من العادات اليومية وكأني نائم بالفعل، أتعجّب من ذلك! ربما هو بسبب أنني أُمارس عاداتي وأشيائي هُنا؛ لذا فهي تُغني عن قيامي بها في الواقع، غريب جدًا أليس كذلك؟ لم أنتقل بعقلي وروحي إلى هنا فقط بل بجسدي أيضًا، وصار كل ما أقوم به ينتقل إلى الواقع مثل تلك الإصابة، لكن كثرة بقائي نائمًا في عالمي وبقائي يقظًا في هذا العالم سبّب لي الإعياء والإرهاق، يجب أن أُنهي هذا الأمر سريعًا؛ حتى أتمكّن من العودة إلى حياتي الطبيعية مجددًا، لكن أحقًا كنت سوف أُفضّل الهروب على المواجهة؟! في اليوم التالي ذهبت إلى العم غانداف الذي كان جالسًا في باحة المنزل مع

مادلين، قلت وأنا أُجاهد أن أكون ثابتًا، وألا أُظهر إعيائي:

_ سوف أسير معك حتى نهاية هذا الأمر.

مادلين:

_ ماذا سنفعل الآن؟

_ بعد الغروب سنتّجه أنا و خالد نحو مملكة بابكا.

مادلين بتعجب:

_ لماذا؟

_ يجب أن نُحاول حشد أكبر جيش ممكن، لذا سأطلب مساعدة حاكم بابكا.

_ تعلم أن حاكم بابكا أحد أتباع عقاقيل، فكيف سيُساعدك ؟

_ سأُحاول إقناعه، علينا أن ننتهز كل الفرص المتاحة أمامنا.

ثم أردف:

_ أين سانجر؟

_ خرج منذ الصباح لإعلام الحاكم هيردوس بما حدث.

_ جيد إذًا، سننتظر حتى وقت الغروب.

_ سأذهب معكما فلا يوجد شيء لأفعله هنا.

_ لديك مهمة أخرى؛ عندما يُخبر سانجر الحاكم بما حدث سيجمع جيش أجاثكا، قدرات الجيش محدودة وقليل مَن هم يستطيعون القتال لذا دَورك أنت و سانجر تعليم الجنود الرماية وحمل السيف.

_ أليس من الممكن أن يترصّد بكم أحد جنود عقاقيل عند خروجكم؟

من الوارد حدوث ذلك، وبسبب ما حدث لم يظل أمامنا الكثير من الوقت، وإن ظللنا هنا ما هو إلا يوم أو اثنين ونرى عقاقيل مع جنوده أمام الأسوار وهذه المرة لن يقف يشاهد فحسب! لا نمتلك إلا عشرة آلاف جندي وهذا العدد لن يقف عائقًا أمام عقاقيل إلا لدقائق معدودة؛ لذا يجب استغلال كل فرصة متاحة لحشد أكبر جيش ممكن، إمّا أن تكون لنا الغلبة أو نصبح أشلاء ممزّقة أسفل أقدام جنود «عقاقيل»!

بعد قليل من الوقت دلف العم غانداف إلى داخل المنزل وبقيت أنا و»مادلين» بالخارج، قالت مبتسمة:

_ كيف حال ذراعك الآن؟

نظرت إلَيها ثم حدّقت في ذراعيَ المُضمّدة:

_ الحمد لله لأنك قد أصبت ذراعي وليس شيئًا آخر.

قالت وهي تخفض رأسها:

_ أعتذر، حقًا لم أقصد ذلك ولم أكُن لأفعلها يومًا

_ لا عليك ما حدث قد مضى، لكني لا زلت؛ متعجبًا من كيفية تعلّقك بالطفل بنيام بتلك السرعة!!

قالت بحزن:

_ جميع الأعيُن قد تخدعك لكنّ أعيُن الأطفال لا تخدع؛ لا تُكنّ نفاقًا لأحد، ولا تعلم الكذب أوالمكر، لا تعرف شيئًا سوى البراءة والمرح، عندما رأيته واقفًا بجوار السيدة أجنن بهندام ممزّق تذكّرت حالي سابقًا أنا وأخي سانجر...

ثم قالت كلمات كانت أشدّ فتكًا بفؤادي من سهم قوسها الذي أصاب ذراعي:

_ نحن أيتام منذُ الطفولة يا خالد

وأردفت:

_ أتعلم أننا كلما حاولنا أن نتذكّر ملامح والدَينا نفشل في ذلك؟! فنجلس معًا ويقُصّ كل واحد منّا كيف يراهما للآخر، ونختلق المواقف والأحداث التي يمكن أن تقع بيننا وبينهم، ما زلنا؛ حتى

الآن نفعل ذلك كلما ارتجف الفؤاد شوقًا إليهم، صحيح أننا لم نعُد أطفالًا لكنّ فراق الأبوَين لا يرأف بصغير أو يرحم كبير، لا أحد يملك أن يتجاوز ذلك الشعور، وما زلت؛ أرى نفسي في كل طفلة تتشبّث برداء أمها، وكل طفل يجذب ساعد والده ليبتاع له شيئًا.

واسترسلت وهي تُشير إلى فؤادها وتلتفت إلى الناحية الأخرى؛ لتخبئ دموعها:

_ فؤادي ليس كاملًا ولن يُصبح كذلك! في يوم ما قد سُلب جزء منه فكيف أحيا بفؤاد طفل؟ وكيف أحيا بروح ممزّقة؟ عندما رأيت «بنيام» تمثّلت أمامي الطفلة الصغيرة التي تفتقر إلى الاحتواء بداخلي، فأردت أن أمنحه ما حُرمت منه، لم أرغب أن يصبح نسخة أخرى مني، لم أره إلا مجرد طفل، ولم أكن لأصدّق حقيقته لولا ما حدث!

_ أُدرك حقًا ما أنت فيه، كلانا كان له نصيب من كأس الفراق، أتعلمين أني أحسدك لأنك لا تذكرين والدَيك؟!

نظرت إلَي متعجّبة بأعيُن محتقنة بالدموع، فأردفت:

_ فقدت والدي قبل أعوام، ولم يبرأ جرحي من ذلك حتى لحِقتْ به والدتي بعد عام من وفاته، وعندها استحال الشفاء، ما زالت؛ ذكراهم عالقة بداخلي، كلما حاولت أن أخمد لهيب فراقهم

جاءت الذكريات تُنقّب بين حطام القلب فيتأجّج اللّهيب ثانية، في بعض

الأوقات أتمنى أن تتلاشى جميع الذكريات من داخلي، إنها الشيء الوحيد الذي يربط بيننا وبين أشدّ اللحظات حزنًا!

قالت وهي تُجاهد ألا تنساب دموعها حتى اكتظّ الماء:

_ أنت تتمنى أن تتلاشى جميع ذكرياتك حتى لا تشعر بألم الفراق، وأنا أشتاق لذكرى واحدة فقط وإن تمزّق فؤادي؛ لكي يستطيع جمعها! يكفي أن يحتضن جزءًا صغيرًا به ذكرى أهرع إليها حين ضعفي وأُضمّد بها جراح روحي.

ثم أردفت وهي تقف قبل أن تُهرول إلى الداخل :

_ قد يكون الألم واحدًا لكن كلانا يعاني بطريقة مختلفة وبدرجة مختلفة؛ لذا لن يُدرك أحد ما أمرّ به.

***

_ كنت أظن أني أشدّ الناس بلاءًا بالفقد والآن فقط أدركت لطف الله بي، تلك الذكريات التي أُحاول التخلص منها ليست إلا رحمة من الله حتى لا يجذع الفؤاد يومًا من شوق أو من حنين، بداخل كل منّا ما تزال هناك صور مُعلّقة على جدران القلب، ما نزال نحتفظ ببعض منها، لا ننفكّ نبتسم كلما مرّت ذكرى سعيدة، أليس هذا من رحمة الله؟! ماذا لو أنّ الإنسان لا يملك القدرة على الاحتفاظ

بالماضي؟! لن يُصبح حينها إلا مجرد ورقة بيضاء فارغة لا معنى أو أهمية لها، فلك الحمد يا الله على كل ذكرى لا تزال تنبض

بداخلنا!.

عقب بضع دقائق رأيت سانجر يدلف إلى المنزل ويتبعه رجل ملثّم لا يُبدي شيئًا من وجهه أوجسده إلا عينَيه الغائرتَين وحاجبَيه الممسوحَين، أقبل سانجر علَي قائلًا:

_ هذا هو خالد.

اقترب الرجل مني قليلًا، ثم كشف عن وجهه كان كهلًا بيضاوي الوجه، ذا جبهة عريضة، وشارب أبيض، ولحية بيضاء تبلغ مقدّمة صدره، قال وهو يمدّ يده:

_ كنت أُريد مقابلتك من قبل لكن خشيت أن ألفت الأنظار إليك، ولولا ما حدث ما كنت لتراني اليوم.

صافحته متسائلًا في نفسي مَن هذا الرجل، ثم قلت:

_ أُقدّر لك ذلك، لكن مَن أنت؟

_ أنا الحاكم «هيردوس».

_ تشرّفت بلقائك كثيرًا.

قال متفحّصًا ملامحي:

_ أنت كما ذكرك اللوح تمامًا!

_ أرجو ألا أُخيّب ظنّكم.

في ذلك الحين خرج العم غانداف من الداخل على أثر الحديث، قال وهو يُقبِل على الحاكم:

_ أعتذر عمّا حدث جلالتك، لقد فقدنا الجزء الأخير من اللوح.

الحاكم هيردوس:

_ لا فائدة من الاعتذار يا غانداف، يجب أن نتدارك الأمر الآن!

_ سأتّجه أنا و خالد إلى بابكا بعد الغروب؛ طلبًا من الحاكم» زافار» أن يقف بجوارنا ضد عقاقيل.

_ خيرًا تفعل، لكن خذ حذرك فلا نعلم ما الذي قد يواجهك في الخارج.

ثم أخرج خاتمًا من إصبعه ومدّه إلى العم غانداف وقال:

_ إن تردّد زافار قدّم له هذا الخاتم، وإلى حين عودتك سوف أحشد الجيش هنا.

أخذ العم غانداف الخاتم، ودسّه بين ملابسه، ثم قال:

_ لا أظنّ أن عقاقيل قد يستغرق الكثير من الوقت حتى يجد طريقة لتحطيم اللوح؛ لذا يجب أن نُصبح على أهبة الاستعداد لأي شيء قد يحدث، سيبقى سانجر و مادلين هنا بجوارك، ويُشرفا على تدريب الجنود.

_ كما تريد يا غانداف، لكن احرصوا على البقاء سالمين، وأرجو

ألا تعود خاويًا.

***

_ كانت الشمس قد بدأت تسحب ثوبها الأحمر، وقبل الغروب بقليل أحضر سانجر جوادَين أحدهما أبيض اللون والآخر أسود ذو حوافر بيضاء، امتطى العم غانداف الجواد الأبيض ونظر إلَي وهو يُشير إلى الجواد برأسه فامتطيت سريعًا الجواد الأسود، اقترب سانجر وفكّ جراب سيفه من ملابسه ثم قدّمه لي قائلًا:

_ ربما تحتاج إليه.

قلت مُبتسمًا وأنا أقبض على السيف :

_ أرجو ألا يحدث ذلك.

قالت مادلين:

_ عُد سالمًا أيها الغريب.

قلت مودّعًا إيّاها:

_ ما زال؛ للحديث بقيّة!

لم أكُن أعلم حقًا هل سوف أرى تلك الأعيُن البريّة مرة أخرى أم لا؟! انطلقنا خروجًا من المنزل نحو بوابة أجاثكا، انتظرنا قليلًا قبل أن يحلّ الغروب؛ لتنقشع الهالة وتُفتح البوابة تلقائيًا كنت قلقًا للغاية ممّا يقبع خلف البوابة، ماذا سيحدث لو كان جنود عقاقيل ينتظروننا في الخارج؟ وكز العم غانداف جواده عندما أصبحت البوابة مفتوحة على مصراعَيْها، لحقت به مباشرة وأنا أرجو أن أعود بأسرع وقت إلى أجاثكا ثانية فلا أدري لِمَ أشعر وكأني قد تركت روحي وراء ظهري؟! حمدت الله؛ فلم يكن هناك أحد من جنود عقاقيل بالخارج، فقُدنا أحصنتنا نحو مملكة بابكا، قلت بعد أن أمضَينا عدّة ساعات في الطريق حتى انتصف بنا داخل غابة وباتت الأجواء من حولنا قاتمة :

_ كم تبعد مملكة بابكا؟

_ لم يظل الكثير، ما أن نخرج من الغابة ستظهر أمامنا مباشرة.

_ ألم يكُن من الأجدر بك إخباري عن دَوري بعد أن أصبحنا في أجاثكا؟ ثم كيف من الممكن أن تظهر في هيئة مختلفة عمّا أنت عليه؟ حتى لا أعلم الآن إن كنت بهَيئتك الحقيقة أم لا؟ ولَم أعُد

أدري هل أُناديك بإسم «غانداف» أم بإسم «يعقوب» وربما لك إسم آخر!

قال العم غانداف وهو يلتفت بجواده؛ ليُصبح مواجهًا لي:

_ كنت أريد أن أزيد ثقتك بنفسك قبل كل شيء، وألا أجعلك تعتمد على السيف المغروز على اللوح والقدرات التي يمدّك بها، أعلم أنها لن تفيدك ما دمت لا تثق بنفسك، إنما هي مجرد أدوات للمساعدة فقط، لكن قوتك الحقيقية تكمُن بداخلك، فإياك أن تعتمد على تلك الأدوات اعتمادًا كليًا، كما أن هناك الكثير من العلوم والقدرات التي لا تعلم عنها شيئًاومنها قدرة التّشكل بهيئات مختلفة! هذه القدرات علمُها لن يفيدك الآن؛ لذا الأجدر بك أن تعمل على توطيد اليقين بداخلك، والإيمان بدَورك وبنفسك قبل إيمانك بتلك الأدوات، وعندها سوف تستطيع تسخيرها كما شئت، لا تظن أبدًا أنّ لديك المقدرة على هزيمة عقاقيل، لم ترَ أي شيء منه بعد!

ثم ترجّل من جواده وربطه بإحدى الأشجار مُردفًا:

_ سنبقى هنا حتى يحلّ الصباح؛ فلن نستطيع المواصلة في العتمة وإلا ضللنا الطريق.

___ قام بإشعال النار بعد أن جمعنا بعض الحطب، ثم استلقى فوق الأرض مُغلقًا عينَيه، جلست بجواره مُثنيًا قدميّ، أُحدّق فيه بتعجّب، من أين له القدرة على النوم بعد كل ما حدث؟ وقد أصبح على شفا حفرة من الموت! قال دون أن يفتح عينَيه:

_ ألن تحاول النوم ولو قليلًا؟

_ أتعلم كيف انتقلت إلى هنا؟

قال وما يزال مُغمضًا عينَيه:

_ الأحلام يا خالد، إنها بوّابات وممرّات لعوالم أخرى، عندما تُغمض عينَيك لا تدري بأي عالم قد يذهب بك حلمك، بعض العوالم تكون جميلة جدًا حتى تتمنى البقاء فيها إلى الأبد! وتمقت واقعك وبعدها يُصبح أسوأ شيء قد تراه يومًا! ثم ابتسم قائلًا:

_ واعلم أن هذا ليس أجمل أحلامك!

صمتنا عقب ذلك ولم نتحدث مرة أخرى، استلقيت بجوار العم غانداف وأغمضت عينيّ قليلًا ولا رغبة لي في الاستيقاظ؛ فقط كنت أهنأ في ذلك الوقت ببعض من الطمأنينة، ارتجف فؤادي حينما شعرت بشيء يتطلّع إلينا، كنت ما أزال؛ مغمضًا عينيّ، أخذَت نبضات قلبي تتسارع أكثر، وازدادت وتيرة الخوف بداخلي حينما تناهى إلى مسمعي صوت زمجرة خفيف، تردّدت من شدة الخوف! هل أستمر بإغلاق عينيّ أم أفتحهما لأرى ما يحدث؟! ازداد صوت الزمجرة وباتت قريبة أكثر من السابق حتى بتُّ أشعر بأنفاس تلفح وجهي! استجمعت شجاعتي، وفتحت عينيّ لأتراجع بساقيّ إلى الخلف سريعًا ممّا رأيت!!

الجزء السابع

القائد

كان بهيئة رجل ضخم البِنيَة، شديد سواد البدن، ذي أعيُن حمراء، لا يستره شيئًا غير لباس يلتفّ حول خصره، يقف فوق رأسي مباشرة، أدركت حينها أنه أحد جنود «بني الحمر» تراجعت فورًا إلى الخلف بقدميّ؛ لشدة الفزع وأنا أُراقبه وهو ينظر إلَي، لم أنتبه ممّا اعتراني حينها أنّ العم «غانداف» لم يكُن بجواري أين ذهب؟ وماذا أفعل الآن؟ تقدّم بضع خطوات نحوي، فما كان مني إلا أن وضعت يدي لأقبض على السيف وأنا لا أحيد بصري عنه، ماذا؟ السيف غير موجود! نظرت إلى الأمام فوجدته مُلقًى على الأرض خلفه مباشرة، اقترب مني أكثر وهو يُزمجر بشدّة وغضب حتى بتُّ أسفله مباشرة دون حراك، حاولت أن أجمع قوتي مثلما فعلت مع عقاقيل لكنّ الخوف كان قد سَيطر علَي؛ فلم أستطع فعل شيء؛ فسلّمت أمري لله، وضع يده خلف ظهره وأخرج من بين ملابسه خنجرًا ودنا مني أكثر رافعًا الخنجر إلى الأعلى، ثم هوى به سريعًا لكني كنت أسرع منه فهرولت صَوب السيف الذي أعطاني إيّاه سانجر، استدار إلَي بغضب أكثر وزمجرة أشدّ من السابق، طردت الخوف من داخلي، وهجمت عليه بالسيف حينما اندفع نحوي، وجّهت إليه ضربة في ذراعه اليسرى لكنه قبض على السيف فَور أن أصابه وجذبه بشدّة وألقاه بعيدًا، ثم نظر إلَي وضربني بقوة بيده حتى أوقعني على بُعد منه أرضًا،

اقترب مني وهو يبرز الخنجر أمامي وهذه المرة وجّهه مباشرة نحو صدري لكني أغمضت عينيّ سريعًا ولا أدري لماذا خطر في عقلي عوف فجأة، ففتحت عينيّ والخنجر فوق رأسي عندما سمعت عواء عوف، نظر ذلك الكائن ناحية مصدر الصوت وهو يُزمجر بغضب، وفجأة قفز عوف عليه من بين الأشجار فوق ظهره حتى أسقط الخنجر منه على الأرض، كان عوف أشدّ قوة من السابق حتى جسده صار أضخم ممّا كان عليه، قبض عليه ذلك الكائن بيده وأسقطه أرضًا، ثم تقدّم نحوي ثانية، اندفع عوف مرة أخرى عليه من الخلف وتمكّن من إصابته بقوة في ظهره؛ ليلتفت الكائن إليه وهو يراه يقف أمامه بثبات تنساب من بين فكَّيه دماؤه، تراجع الكائن إلى الخلف، ثم نظر إلَي ووضع يدَيه فوق بعضهما على صدره؛ ليختفي مباشرة، نظر إلَي عوف ثم هرول وجلس بجواري، أخذت أُداعب فراء جسده وأنا أُفكر مُتسائلًا عن المكان الذي ذهب إليه العم غانداف، وعن كيفية مجئ عوف دون أن يستدعيه! وأثناء ذلك ظهر العم غانداف الذي كان يركض مُتّكِئًا على عصاه بين الأشجار، حاملا قربة ماء، قال متعجبًا عندما رآني بتلك الهيئة ورأى عوف بجواري:

_ ما الذي حدث؟

_ هاجمني أحد «بني الحمر» ولولا عوف الذي ظهر في الوقت المناسب لا أدري ما الذي كان سيحدث.

_ لكن كيف ظهر ولم أستدعِه؟

هززت رأسي وأنا أقف قائلًا:

_ لا أعلم.

قال عقب أن شرد قليلًا :

_ هل قتلته؟

_ لا، فقد فرّ بعد أن اشتبك مع عوف.

العم غانداف وهو يتّجه نحو جواده:

_ جنود عقاقيل لا تُهاجم منفردة؛ هذا يعني أنه كان في مهمة استطلاع أو أنه ليس بمفرده.

سرت خلفه:

_ ماذا يعني هذا؟

قال وهو يحلّ وثاق جواده:

_ علينا أن نصل إلى بابكا سريعًا قبل أن يأتي المزيد.

حللت وثاق جوادي أيضًا قائلًا:

_ وأين كنت؟ وماذا عن عوف؟

_ لقد ذهبت لجلب الماء، وعندما سمعت صوت صهيل الأحصنة وعواء عوف ركضت إليك سريعًا.

قلت وأنا أنظر إلى عوف:

_ ألن يرحل؟

قال بعد أن زمجر ووقف بجانبنا:

_ لم أستدعِه لأجعله يرحل، هناك مَن استدعاه! لكن كيف حدث ذلك؟!

ثم أردف وهو يمتطي جواده؛ ليتوجه نحو بابكا:

_ لنذهب سريعًا قبل أن يأتي المزيد من جنود عقاقيل.

امتطيت جوادي ولحقت به وفي الخلف كان عوف يركض خلفنا.

***

قيل قديمًا إن أردت أن ترى ابنك يومًا محاربًا عظيمًا فأودعه ل «بابكا»، القلعة التي لم يقترن القتال إلا بِاسمها، عُرفت في الماضي قبل أن تُعلن الولاء للشرير عقاقيل بِاسم» بابكا المحاربين» أي موطن المحاربين، أو الأرض التي أوجدت القلم والسيف، ظلّ ذِكر جيشها كفيلًا ببث الرعب في النفوس؛ لذلك كانت القلاع الأخرى تلجأ إليهم إن أرادوا التخلص من عدو ما أوالهجوم على أحد،حتى دحرها عقاقيل، الشعب الوحيد الذي كان يمتهن القتال حيث لا فرق بين امراة ورجل، ولا بين طفل وشاب، الكل هنا إما أن يُصبح مقاتلًا أو ينفى إلى الأبد! يُولد الطفل، أول ما يبصره هو القلم حتى إذا ما تعلّم القراءة والكتابة، أُخذ به إلى ساحات التدريب على القتال؛ حتى يغدو مُهيئًا، منع عقاقيل التدريب على القتال، عندما سيطر على «بابكا» ومن يُخالف ذلك كان عقابه الموت! وبمرور الوقت كُسر القلم وسَقط السيف.

ما أن اجتزنا الغابة ظهرت قلعة «بابكا» مباشرة أمام أعيُننا، بوّابة ضخمة تتوسّط بُرجَين دائرَين، يمتدّ من كلّ منهما سور شاهق

الارتفاع يُطوّق المملكة، توقّف العم غانداف وقال وهو ينظر صَوب البوّابة:

_ انظر إلى الأعلى وأمام مدخل المملكة.

أعلى أسوار القلعة حلّقت فرقة من الغربان، و أمام البوّابة تواجد عدد من «بني الحمر» استطعت رؤيتهم جيدًا على الرغم من المسافة التي تفصل بيني وبينهم؛ وذلك بسبب ضخامة أجسادهم.

أردف وهو يتّجه إلى الشمال:

سنلتفّ من الخلف، ونتسلّل إلى الداخل خلسة.

***

دلف شاثبر على أطرافه الأربعة سريعًا إلى القصر، ووقف أمام عقاقيل الذي يجلس فوق العرش وبجواره ابنته أجدال منشغلة بالمرآة ، قال:

_ مولاي هناك أنباء جيدة.

_ ماذا هناك؟

_ لقد تمكّنا من صناعة سلاح قادر على تحطيم اللوح.

_ أحضره إلَي الآن.

بعد دقائق قدم أحد جنود «بني الحمر» وهو يحمل مطرقة ضخمة جدًا وثقيلة للغاية حتى شُقّ عليه حِملها، وقف عقاقيل ثم توجّه نحو الجندي حينما رأى المطرقة وأخذها منه، ثم رفعها إلى الأعلى وضرب الجندي بها بقوة؛ ليندفع الجندي إلى الخلف بشدّة ويرتطم بأحد الجدران، ثم نظر إليه مبتسمًا وهو يُشاهد الدماء تنساب بغزارة من جسده.

قالت أجدال وقد هبّت واقفة تاركة المرآة:

_ إنه سلاح قوي للغاية يا أبي.

_ أحسنت أيها اللعين.

شاثبر وهو يحني رأسه:

_ أسعد برضاك دائمًا يا مولاي.

_ لا أرى في نَيلك الرضا إلا تذلُّلًا ووضاعة.

_ تذلّلي إليك شرف ورفعَة يا مولاي

_ قمة الوضاعة تكمن في التذلل لنيل الرضا
في ذالك رفعة لي جلالتك.
عقاقيل بِاحتقار :
_ حسنًا أيها الوضيع، ماذا هناك أيضًا
_ لقد توجه غانداف وخالد نحو بابكا .
_ أرسل خمسة من» بني الحُمر « وثلاثة من فرقتك للترحيب بهم أثناء عودتهم
شاثبر وهمَ بهم بالِانصراف:
_ كما تشاء جلالتك
_ لم أنتهِ من كلامي أيها الوضيع
شاثبر وهو يبتسم في رضا:
_ أنتظر أوامرك مولاي.
عقاقيل وقد جلس على عرشه وأخذ يتطلع للمطرقة التي بين يده اجمع الجيش على الفور.
أجدال عقب أن غادر شاثبر:
_ بما تخطط يا أبي؟
_ حان الوقت للسيطرة على أجاثكا.

***

_ لقد ظهر الشخص الذي ننتظره.
زافار بسعادة:
_ المختار؟
جساس:

_ نعم، كنا نُراقب قلعة أجاثكا كما أمرت وأثناء ذلك شاهدنا شابًا غريبًا برفقة غانداف.

قال زافار وهو يفرك ذقنه بإبهامه:

_ غانداف إذًا.

فزع جساس عندما سمع صوت عواء قادم من خارج غرفة الحكم، فالتفت سريعًا شاهرًا سيفه عندما رأى غانداف و خالد أمامه مباشرة وخلفهم عوف الذي نظر إليه بغضب والدماء تقطر من بين فكَّيه،

قال الحاكم زافار وهو يتقدّم للأمام في ثبات تام:

_ كيف تدخل إلى هنا بهذه الطريقة يا غانداف؟

كان كهلًا نحيف البدن، ذو وجه محدّب، وأعيُن صغيرة غائرة، وذقن بيضاء كثيفة.

العم غانداف:

_ أعتذر جلالتك لكن الوقت ضيّق، وجنودك بالخارج لم يسمحوا بدخولي.

_ ألا تعلم عقوبة مَن يعود بعد نفْيه؟

غانداف برأس مطأطأ :

_ أعلم جلالتك.

_لم أتَيت إذًا؟

_ سوف يهاجم عقاقيل قلعة أجاثكا، فقد تمكّن من العثور على طريقة لإزالة الهالة.

_وقد جئت تطلب المساعدة.

_ أجل.

_ دع عنك أمور الحرب يا غانداف فقد هرِمت، سوف أعفو

عنك، وتستطيع أن تعود إلى العيش بيننا.

حدق العم غانداف في الحاكم زافار قائلًا:

_ تعلم جيدًا أنني لن أفعل.

ابتسم الحاكم زافار ثم اقترب من خالد متفحّصًا ملامحه، وفجأة دلف أحد الجنود مهرولًا صَوب جساس وهمس له ببعض الكلمات، قال الحاكم زافار وهو يُراقب جساس بتوتر:

_ ماذا حدث؟

نظر جساس إلينا ثم قال:

_ لقد خرج عقاقيل نحو أجاثكا!

***

« عودة »

سألت العم غانداف قائلًا:

_ ماذا سنفعل الآن؟

قال وهو ينظر إليهم بتحدٍّ شديد:

_ لا ينقطع اليقين ما دام بالصدر أنفاس، ثق بنفسك يا خالد، واعلم أن الهزيمة لا تأتي إلا إذا شكّكت بقدرتك، والآن سنفعل ما خُلقنا لأجله!

ثم رفع عصاه عاليًا وضرب الأرض بقوة شديدة ليُصدر عوف عواء شديد للغاية، ثم توالت أصوات العواء.

- عشرات الذئاب المختلفة من حيث الشكل والحجم تدافعت مع العواء نحو جنود عقاقيل، نظر العم غانداف نحو عوف الذي يقف يُراقب الذئاب وهي تهاجم، ثم أحنى رأسه إليه

مبتسمًا وبعدها زمجر بقوة وهاجم رفقة بقية الذئاب، كنت في حالة دهشة أتساءل من أين جاءت هذه الذئاب؟ لم تأخذ الغربان الكثير من الوقت حتى أصبحت فريسة بين فكَّيّ كل ذئب، أما «بني الحمر» فقد شُقّ التغلب عليهم، التفّتت جميع الذئاب حول «بني الحمر»، وهجمت كل مجموعة على أحد منهم، فوقف يدافعون بشراسة شديدة؛ حتى تمكّنوا من إلحاق الضرر ببعض الذئاب، اندفع ذئب نحو أحدهم فما كان منه إلا أن سدّد له ضربة بيده ألقت به أرضًا دون حراك، ثم تقدّم نحوي وقبل أن يصل إلَي وقف العم غانداف أمامي وهاجمه بعصاه لكنه التفّ سريعًا حوله وضربه بقوة عقب أن نزع العصا من يده؛ ليهوي فوق الأرض، تابع تقدّمه نحوي، فحاولت أن أتحول لكن لم أنجح مجددًا، أشهرت سيفي ووقفت أنظر إليه بتحدٍّ، هرول نحوي سريعًا فاندفعت عليه مباشرة، وعندما رفع يده إلى الأعلى؛ ليُهاجمني، جرحت ساقه اليسرى بقوة؛ فخرّ على الأرض ودماء سواد تنساب من ساقه، حاول القيام فأسرعت نحوه لأوجّه الضربة الأخيرة على عنقه، ثم سِرت نحو العم غانداف كان منهكًا فساعدته على القيام، نظر إلى الذئاب وهي تقضي على آخر جنود «بني الحمر» قائلًا:

_ لقد أصبح «عوف» القائد!

الفصل الثامن

اللقاء

انطلقنا سريعًا نحو أجاثكا عقب أن قضَينا على جنود عقاقيل، ولا أدري حتى الآن حقيقة عوف، وكيف بإمكان العصا استدعاءه؟! ولمَ عندما خطر في ذهني فَور أن هاجمني جندي «بني الحمر» وجدته أمامي مباشرة؟! لا أظن أنه مجرد ذئب! والعم غانداف يُخفي أكثر ممّا يُبدي، كيف حصل على هذه العصا؟ وما سر عوف؟؟ بدأت أشك أن العم غانداف يتنكّر في ثوب كهل ليخفي حقيقته! تُرى من يكون؟ لم نأخذ وقتًا لالتقاط أنفاسنا وها قد بات الغروب على مقربة منّا، بلغنا موضع القلعة، وما هي إلا سُوَيعات حتى بدأت تظهر شيئًا فشئ، فسِرنا نحوها دون أن ننتظر، نظرت إلى الأعلى، كانت أسوار القلعة تكتظّ بالرماة؛ حينها أدركت أن اللقاء بات واقعًا الآن، كان الحاكم هيردوس ومادلين وسانجر يتقدّمون جيشًا قوامة خمسين ألف جندي يقفون في صفوف منتظمة، معظمهم من عامة الشعب، كانوا على أُهبة الاستعداد خلف أسوار أجاثكا، ما أنْ رآنا الحاكم هيردوس والجنود حتى استبشروا خيرًا، جفلوا من عوف وباقي الذئاب الذين كانوا يسيرون خلفنا، لكنّ العم غانداف هدّأ من رَوعهم، وأخبرهم أنهم سيقفون بجوارنا في الحرب؛ فتعالت أصوات البهجة وازداد الأمل بالنصر.

قال الحاكم هيردوس:

_ ماذا حدث يا غانداف هل سيدعمنا زافار في الحرب؟

طأطأ العم غانداف رأسه؛ فقد كان موقف زافار واضحًا وهو أنه لن يخوض الحرب.

سانجر وهو ينظر إلى صفوف الجنود:

_ كان لديهم أمل بمساعدة الحاكم زافار وإن علموا بقراره سوف تتداعى عزيمتهم.

مادلين:

_ سنقاتل حتى وإن لم يقف أحد بجوارنا، لقد لبثنا في الخوف سنين وآن الأوان لطرده من الأفئدة، إلى متى سننتظر مثل شاة ضعيفة لا تملك من أمرها شيئًا تأمل فقط أن تُذبح سريعًا؟! لا يليق بنا الوقوف أو التراجع الآن.

الحاكم هيردوس مؤيّدًا :

_ أتفق معك يا مادلين لن ننتظر وقتًا أكثر، إما أن تُذبح الشاه اليوم أو تُقدّر لها حياة أخرى.

وأثناء ذلك اخترق رجل صفوف الجنود، كانت ثيابه الفاخرة تدلّ على تجارته، قال وهو يُشير إلَي:

_ هل أنت الشخص المختار؟

أصابني سؤاله بالجمود؛ فحتى الآن لست أدري إن كنت كذلك، قالت مادلين:

_ نعم هو، ماذا تريد؟

تجاهل الرجل مادلين ووجّه حديثه إلى الحاكم هيردوس:

_ عذرًا جلالتك على حديثي، لكنّك قد أعلمتنا بأنّ الشخص المختار قد ظهر، وطلبت من الأب أن يقف بجوار ابنه في الصفوف، ومن المرأة بأن تحمل صغيرها فوق ظهرها وتشدّ

على السيف في يدها،تركنا ديارنا وأموالنا خلف ظهورنا واستجبنا لأمرك مستبشرين بالمختار، لكن أين هو؟ لا أرى بجوارك غير شاب بسيط، إن كان هو حقًا فلمَ ما يزال السيف قابعًا فوق اللوح؟!

تهامس بعض الجنود عقب حديثه حتى تعالت الأصوات بالاعتراض على القتال، وألقى بعضهم سلاحه أرضًا، قال الحاكم هيردوس وهو يُشاهد ما يحدث بقلق:

_ لقد حدث ما كنت أخشاه، لن يردعهم تقديري أو محبتهم لي عن التمرد والتخلّف عن القتال.

نظر إلَي العم غانداف ثم قال في نفسه دون أن يتحدّث:

_ بات الأمر بيدك يا «خالد» لا تخذلني.

لقد سمعتك هذه المرة أيضًا دون أن تُحرّك شفتَيك بحرف واحد، لن أخذلك اليوم، قلت بصوت جهوري حتى يسمعني الجميع:

_ اسمي خالد، وقد جئت إلى هنا من عالم آخر، لم أهتم بداية الأمر بما يحدث وقرّرت الهرب، لكن بعد أن أدركت أنني قد خُصّصت لأن أكون الشخص المختار أسعدني ذلك على الرغم من خوفي، لن أتقاعد عن الحرب اليوم، أنا الغريب سوف أسير مقاتلًا بين صفوفكم، سأزود عن كل روح الموت ما استطعت، والآن سأُثبت ذلك!

همست مادلين وهي ترمقني بقلق:

_ ماذا ستفعل؟

قلتُ بجهور:

_ سأنزع السيف أمامكم الآن.

التفت إلى العم غانداف فرمقني بنظرة تُشي بعدم رضاه بما

قمت به، لم أهتم بذلك وسِرت نحو اللوح وأهل أجاثكا يسيرون خلفي، كانت الساحة التي بها لوح النبوءة قريبة من بوّابة أجاثكا، وقد شُيّد سُلم آخر موضع الذي هُدم سابقًا، صعدت عليه حتى أصبحت أقف فوق اللوح بجوار السيف مباشرة، نظرت إلى الناس المجتمعين بالأسفل وهم ينظرون إلَي بترقب، ومادلين وسانجر والعم غانداف والحاكم هيردوس قد بات القلق سوادًا يغشى أعيُنهم، مددت يدي إلى السيف وما أن لمسته حتى أضاء وضرب الرعد السماء، فابتهج الناس فرحًا بذلك، تحمّست كثيرًا فقبضت على السيف بكلتا يديّ؛ ليضئ بشدة أكبر، وينعبث منه نور بدّد الظلام من حولي حتى أغمض الناس جميعًا أعيُنهم لشدّته، انتفخت العروق بداخلي، وشعرت بتضاعف جسدي، وازداد الرعد في ضرب السماء ليُضئ البرق صفحاتها، وفجأة انتفض الناس فزعًا حينما قرع أحد الجنود طبول الحرب! وجاء أحدهم يُهرول قائلًا وهو يصيح بأعلى صوته:

_ خذوا أسلحتكم جميعًا لقد جاء عقاقيل بجنوده!

أصبحوا مثل النمل وأنا أُشاهدهم من الأعلى، يتخبّط بعضهم ببعض فقد آن الأوان لمواجهة ما يخشونه، كيف يقف المرء أمام خوفه دون ريبة أو قلق؟! أسرع كلٌ منهم يقبض على سيفه ويشدّ على قوسه بأيدٍ ترتجف رهبة، وبأعيُن تترقّب في هلع القادم، بعد أن أُقيمت الصفوف صعد الحاكم هيردوس والعم غانداف فوق أبراج أجاثكا لرؤية عقاقيل، بات الأمر واقعًا لا مفرّ منه، حان وقت الاختبار، الآن سأعلم إن كنت حقًا ذلك المختار الذي ينشدونه، أحكمت قبضتي على السيف وتنفسّت الصعداء لبضع دقائق سامحًا لفؤادي بأن يُناجي ربه بدعاء خفيّ، ثم سحبت

السيف؛ لينساب من اللوح بسهولة شديدة أثارت استغرابي، شعرت بسعادة عارمة وطالعت الناس بالأسفل، ثم رفعت السيف عاليًا؛ لينبعث منه ضوء شديد، حينها ابتهج الجميع ما أن رأوا السيف بين يديّ، وقد قصدت كل الأفئدة سبيلًا واحدًا فلا موجود سواه، ولا إله يُجيب المضطر إلاه، هو رب الأفئدة وإن ضلّت الطريق، هو الإله الأحد وإن أُدين بغيره، يكفيك أن ترفع يدَيك عاليًا قائلًا «رباه»؛ ليتبدّد الظلام من حولك، وتهتدي نفسك إلى رشدها، ويتبدّل خوفك أمنًا، وتقرّ مقلتاك بما تصبو إليه، هو ربي ورب كل مخطئ و عاصي، لا يُفرّق بين أحد من عباده، وإن قصّروا في حقه أو ضلّوا لا مجيب سواه ولا إجابة تُرجى من غيره!

أسرعت عقب ذلك بالهبوط والذهاب إلى العم غانداف فوق أحد

الأبراج، كدت لأقرّ بالهزيمة قبل أن أخوض الحرب لولا أن ثبّت الله فؤادي.

أعداد غفيرة من «بني الحمر» يتقدّمهم عقاقيل وهو يقبض على اللوح في يد وفي الأخرى مطرقة ضخمة جدًا، لكن لا أرى أحدًا من فرقة الغربان! أين هم؟ نظر إلينا عقاقيل ثم ابتسم وأشار إلى مجموعة من جنوده باقتحام بوّابة أجاثكا، انطلقت المجموعة فَورًا بسرعة البرق نحو البوّابة، كنّا نُراقب عدوَهم بخوف شديد، وعندما أوشكوا على الوصول إلى البوّابة من الخارج وقفوا فجأة يلتفت بعضهم إلى بعض وأخذوا يدورون يمينًا ويسارًا، تعجّبت من ذلك فاقتربت من العم غانداف قائلًا ونحن ننظر إليهم :

_ ماذا حدث؟

اختفت القلعة؛ فقد انقضى الوقت الذي تُفتح فيه البوّابة،

مَن بالداخل يستطيع أن يرى مَن بالخارج، أما مَن بالخارج لا يرى غير صحراء جرداء.

***

لم يُفارق أحد موضعه، وظللنا نُراقب عقاقيل وجنده، وعندما حلّ الليل استحالت رؤيتهم بسبب العتمة وسواد أجسادهم، لكن كلما ازداد الليل عتمة كان الأعيُن الحمراء تزداد عددًا، في سواد تام لا شيء يُرى غير أعيُن جاحظة تُشعّ لهيبًا في مشهد مهيب يُزعزع الأفئدة بالصدور! وفجأة ظهرت في الأفق نار عظيمة ابتلعت الظلام في جوفها حتى أصبحنا نراهم جيّدًا، كان عقاقيل يعلم أننا نستطيع رؤيتهم لذا وقف بجانب النار وألقى اللوح أرضًا، ثم رفع المطرقة

عاليًا ونظر إلينا مبتسمًا، قال العم غانداف ومازال؛ يُراقب ما يحدث بريبة:

_ سيُحطّم اللوح الآن!

ثم التفت إلى الخلف صارخًا في الجنود ومن داخل القلعة:

_ استعدوا..

ضرب عقاقيل اللوح بقوة شديدة حتى تناثر إلى أجزاء متفرّقة، بعد دقائق من الترقّب قال العم غانداف بتعجّب :

_ لم يحدث شيء! ما زالت الهالة موجودة.

قلت بسعادة:

_ هذا يعني أننا في أمان ولا...

لم أنتهِ من كلامي وسرعان ما التفتنا إلى الخلف في هلع

عندما اهتزت الأرض أسفلنا، جفلنا جميعًا حينما انبعثت أشعة بيضاء من جوف اللوح المثبّت في ساحة القلعة، أخذت الأشعة تزداد قوة وشدّة حتى تهالك اللوح وتطايرت أجزاؤه في كل اتجاه، ثم انقشعت الهالة عن القلعة!

صرخ جند عقاقيل بقوة حينما أشار إليهم جميعًا بالهجوم فقد أصبحت الشاة أمام الصياد.

قال الحاكم صائحًا:

_ أوصدوا البوّابة جيدًا.

هبط العم غانداف من فوق البرج وتبعته إلى الأسفل، صاح في الجنود قائلًا:

_ افتحوا البوّابة!

مادلين باستغراب:

_ ماذا؟

_ لن تصمد أسوار القلعة أمامهم، وإن دخلوها عاثوا فيها فسادًا واستحلّوا دماء الجميع، لا توجد طريقة أفضل من الخروج والمواجهة.

سانجر:

_ أتّفق مع العم غانداف.

الحاكم بعدما أطرق مفكرًا:

_ افتحوا البوّابة.

ثم أردف صائحًا:

_ اهجموا...

اندفع كل جيش نحو الآخر حتى تلاقيا لتصمت لغة الحروف ويبدأ السيف في فرض لغته الخاصة وهي «الدماء»، كنت ما أزال؛

على هيئتي الضخمة، اندفعت على أحد جنود عقاقيل بسرعة وقبل أن يصل إلَي فصلت رأسه بالسيف، كانت مادلين تُصوّب نحو الأعيُن مباشرة؛ حتى يسهُل على جنود أجاثكا قتلهم، أما سانجر والعم غانداف فكانا يُقاتلان بضراوة شديدة، أصبحنا الأقوى غلبة على الرغم من فارق القوة بين الفريقَين، إلا أن كلّ واحد منّا كان يُقاتل لأجل شيئًا يؤمن به؛ لأجل أهل ووطن، لأجل أمل في عدم البقاء تحت سطوة السيف، لأجل سقف منزل ينعم قاطنيه بسعادة دون ريبة من المستقبل، لأجل تحرير النفس من أغلال الخوف والعيش بأمان، نقاتل لهدف ونُكرّس الحياة لأجله، ليس لإشباع رغبة ملك فاسد، فما هم إلا بيادق يُحرّكهم كيفما يشاء، أمّا نحن فسادة أنفسنا، ذلك الفارق بيننا وبينهم وكان كافيًا للنصر عليهم إلا أن للعدد رأيًا آخر! تساقط عدد لا بأس به من جند عقاقيل لكنّ ذلك كان مثل قطرة ماء في نهر، ومع مرور الوقت تناقص عدد جنودنا وتلك كانت نقطة التّحول من الفوز إلى الهزيمة، لم يظل منّا الكثير لمواجهة ذلك الحشد الغفير، إنهم مجرد أجساد مُسيَّرة لا عقل لها، نعم العقل، لِمَ لَم أُفكّر في ذلك من قبل؟! إن سقط العقل هلك الجسد.

تقدّمت إلى الأمام؛ بحثًا عن عقاقيل، لم أستغرق وقتًا لإيجاده؛ فقد كان متميّزًا عن الآخرين بجسده الأضخم والأعلى، وقفت أمامه قائلًا:

_ حان الوقت، لا مفرّ اليوم يا عقاقيل أحدنا سيُقتل!

قال وهو يندفع نحوي:

_ سنعلم مَن هو الآن.

لم أُدرك مقدار قوة عقاقيل إلا عندما تواجهت معه، كان قويًا بحق، ومحنّكًا في القتال، تراجعت إلى الخلف؛ لأتفادى ضربته، وأثناء هجومه علَي ثانية لفت نظري القلادة ذات الفصوص الحمراء، تذكّرت حينها كيف استطاع الهروب سابقًا عقب أخذه اللوح الثاني وهو على هيأة الطفل، إنها القلادة!

التففت حوله ومددت يدي لأنزعها لكنه لكمني بذراعه لأسقط فوق الأرض، اقترب حتى أصبح أمامي مباشرة، هممت بالقيام لكنه أسرع واضعًا رجله فوق صدري بقوة ثم قال:

_ هذه هي نهاية النبوءة.

لكنه استدار إلى الخلف حينما سمع أصوات هتاف وقرع للطبول، وأثناء ذلك دفعته إلى الخلف لأقف وأرى الحاكم زافار وجنوده، كان عددهم يتجاوز المائة ألف، وقف عقاقيل مصدومًا؛ فقد كان يظنّ أنه قضى على جيش بابكا بالكامل، ولم يتم تدريب أحد؛ خوفًا من القوانين التي فرضها عليهم إلا أن الحقيقة غير ذلك، فقد أوجد الحاكم زافار نفقًا أسفل الأرض يتمّ فيه تدريب الجنود استعدادًا ليوم القِصاص!

نظرت إلى العم غانداف وأشرت إليه بأنّ هذه فرصتنا ولا نملك غيرها.

ليرفع عصاه عاليًا ويضرب بها الأرض؛ لتصعد في الآفاق أصوات مئات الذئاب التي أقبلت تندفع نحو عقاقيل وجنده من كل حدب وصَوب، حتى اجتمع أكثر من خمسة عشر ذئب بينهم عوف على عقاقيل الذي وقف يُجابههم بقوة لكن مع الوقت خارت قواه عقب أن رأى جنوده يسقطون صرعى أمام السيوف وبين أسنان الذئاب...

خاتمة

_جالسة بجوار الفراش تُرتّل القرآن بصوت عذب، لم تنتبه إلَي، قلت بخفوت:

_ أترغبين بأن نقضي ما بقي معًا؟!

فزعت حتى أوشك المصحف أن يسقط من يدها قالت غير مُصدّقة:

_ «خالد»، لقد استيقظت.

قلت وأنا أبتسم:

_ كان يجب أن أعود وألا أظلّ بعيدًا عنك في الجزء الآخر من العالم.

قالت غير مدركة لما أرمي إليه:

_ ماذا تقصد؟

_ أرغب في أن أقضي كل ثانية معك، أن أشيخ بجوارك، وأن يقترن اسمي بِاسمك، أن يؤلّف الله بين قلوبنا، ويجمع بينها فتلتقي على سراج من المودة والألفة!

بعد أن تعافَيت وامتثلت جروحي للالتئام غادرت منزل خالي وقد عقدت النية في العودة قريبًا لقراءة الفاتحة، كان كل شيء طبيعيًا خلال هذه المدة؛ فلم تُراودني أحلام مزعجة، وتوقّفت أخبار أجاثكا عن الورود إلَي منامًا، إلا أنه في ذات ليلة حدث ما قلب كل شيء رأسًا على عقب!

***

استيقظ بأعيُن زرقاء جاحظة، وجسد قد تضاعفت بنيته، تصحبه نبضات فؤاد متسارعة، نهض فورًا وهرول ناحية خزانة الملابس وبعثر جميع الأغراض على الأرض حتى قبض على السيف، وعندما أزال عنه القماشة الحمراء التي تكسوه انبعث منه ضوء شديد حتى استحالت الرؤية بداخل الغرفة، لفّ السيف بقطعة القماش مرة أخرى، وقد بات قلقًا للغاية وهو يفكر ماذا حدث ليتحول أثناء نومه ولم يرَ شيئًا في منامه؟ ولمَ قد أضاء السيف؟! تسارعت نبضات قلبه أكثر عندما جال في خاطره الجدار الأسود والكتب التي تقبع خلفه، خرج من منزله راكضًا بأعيُن زرقاء وبدن قوي للغاية قابضًا في يده اليمنى على السيف الذي يتوهّج بخفوت من خلف القماشة الحمراء، دلف إلى المكتبة وبسرعة ذهب ناحية الجدار الأسود وعندما قام بفتحه فغر فاه ممّا رأى! كانت أرفف الكتب تهتزّ بقوة شديدة للغاية، والكتب تتساقط أرضًا مُحدثة صوت صراخ وزمجرة مخيفة جدًا، أزال خالد القماشة الحمراء عن السيف؛ ليضئ بحدّة وتتكون حوله هالة زرقاء وأخرى حمراء يلتفّان حول بعضهما، ازداد اهتزاز الأرفف من حوله، ثم أصبحت تسقط أمام مرأى عينَيه على الأرض رفًا تلو الآخر حتى باتت الأرض مكتظّة بالكتب، نظر في هلع إلى الأرفف المُلقاة أرضًا، ثم اقترب ناحية الجنوب والسيف ما زال بيده، شعر بأن هناك شيئًا يتحرّك أسفل حطام رفوف المكتبة، وعندما أزال رفًا، اندفعت هالة السيف الزرقاء والحمراء صَوب أحد الكتب بقوة شديدة حتى كاد خالد أن يفقد السيف من شدة الاندفاع؛ فقبض عليه بكلتا يدَيه وهو يحاول سحبه إلى الخلف، ارتفع الكتاب إلى الأعلى حتى أصبح يقف نُصب عينَيه، وما تزال الهالات تندفع بداخله بلا توقف حتى

أخذ يهتزّ بقوة شديدة دون أن يتزحزح من موضعه، ثم فُتح الكتاب وأخذت صفحاته تتقلّب يمينًا ويسارًا بشدّة، حتى استقرّت على أحدها، وتشكّل بداخلها وجه دائري لفتاة شديدة الجمال، كانت تنظر إلى خالد بغضب شديد، ثم أصدرت صوت صراخ قوي اندفع خالد إلى الأسفل ساقطًا على الأرض من فرط شدته وبعدها سقط الكتاب أرضًا، ظلّ خالد يقبض على السيف وهو ينظر إلى الكتاب الذي سقط ساكنًا فوق الارض بأنفاس متلاحقة فزعًا، ثم زحف على الأرض، وفتح صفحات الكتاب بتردد وخوف؛ لتسقط عيناه على بعض العبارات التي دُوّنت بلغة غير معروفة له، وعندما دقّق النظر عليها جيدًا وجد نفسه قادرًا على إدراك المعنى، فأخذ يقرأ بسرعة حتى اختفت العبارات أمام مرأى عينَيه بعد أن فرغ منها، ثم دُوّنت عبارة أخرى وهو يُشاهد ما يحدث بفؤاد يكاد يقتلع قضبان صدره ليفرّ هاربًا من شدة الخوف:

_ أنا فتنة الأرض وبدرها، وضيَ السماء ولهيب شمسها!!

لا زالت؛ هُناك أحلامًا لم تدون بعد وأخرى تُعد في الخفاء، أسرار تكشف وحقائق تتضح، لا زال الشر يجوب أنحاء الأرض يبحث عن نفسًا مريضة حتي يسخرها لطاعته، والخير لا أراه إلا طفلًا يقف أمام عدوًا قد خرج منتصرًا من كل حربًا، أشياء فور أن تتمثل أمامي سوف أفيض بها كاملة وحتى ذلك..نلتقي قريبًا بإذن الله

تمت بحمد الله

حقًا يُرد إلى أهلهِ

أتوجة بخالص الشكر إلى كل من وقف بجواري وقدم لي الدعم ولو بكلمة عملت على خروج هذا العمل وأخص بالشكر:

1 _ الأستاذة سرور.

2 _ الأستاذة ألاء لولو.

الفهرس

إهداء	5
النبوءة...	6
الجدار الأسود...	7
طاغية...	8
سيف السماء...	9
المُختار...	10
مُقدمة	13
الفصل الأول	15
الفصل الثاني	33
الفصل الثالث	49
الفصل الرابع	66
الفصل الخامس - كَشْف القناع	82
الفصل السادس	100
الجزء السابع	111
الفصل الثامن	120
خاتمة	129

إيميل: mesaak10@gmail.com
الواتساب: 01143487669
فيسبوك: mesaak0